

إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام / العدد (٦٠)

سلسلة الحجة الظاهرة في الدفاع عن العترة الطاهرة

(٢)

من هم ورثة الأنبياء؟

تأليف

الشيخ ناظم العقيلي

طبعة مصححة ومزودة

الطبعة الثانية

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

لمعرفة المزيد حول دعوة السيد أحمد الحسن عليه السلام

يمكنكم الدخول إلى الموقع التالي:

www.almahdyoon.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى صفوة الله ونبيه . .

إلى من خلقه الله ونفخ فيه من روحه . .

إلى نبي الله آدم عليه السلام أبي البشر أهدي هذه الكلمات، وأسأل الله تعالى أن لا يحرمني من شفاعته

وشفاعته ذميرته من الأنبياء والمرسلين والأئمة والشهداء والصالحين .

وكذلك أهدي هذه الكلمات إلى أمنا حواء عليها السلام، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام

على محمد وآله الأئمة والمهدين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تعالى نستعين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، مالك الملك، مجري الفلك، مسخر الرياح، فالق الإصباح، ديان الدين، رب العالمين.

والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد المصطفى وعلى آله الطاهرين الأئمة والمهديين.

لقد ظُلم أهل البيت عليهم السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنذ أول يوم بعد وفاته، عندما أُغتصبت الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام في سقيفة بني ساعدة، ورافق غضب الخلافة مظالم عديدة ومريرة على الإمام علي عليه السلام وعلى فاطمة الزهراء عليها السلام، وأيضاً على الحسن والحسين ريحاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستمرت المظالم على بيت النبوة إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة.

فبالإضافة إلى القتل والسم والسجن والتشريد لهذه الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء وتؤتي أكلها كل حين، قام أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وسلم بانتحال فضائل وألقاب أمير المؤمنين وعترته الطاهرة، ليظهروا أمام الناس بمظهر الشرعية والقدسية التي تساعد على جمع الناس حولهم وخفق النعل خلفهم وقبول قولهم بدون مناقشة، مما يسهل عليهم تحقيق غرضهم الدنيوي الرخيص.

وتقريباً أول لقب سُرق من أمير المؤمنين عليه السلام هو (أمة المؤمنين) الذي خص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا يتسمى به غير الإمام علي عليه السلام إلا كذاب. والروايات عن المصطفى صلى الله عليه وسلم تشهد بذلك. فتسمى بهذا اللقب عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وبنو أمية وبنو العباس ظلماً وعدواناً على آل الرسول صلى الله عليه وسلم. وأما تحريف الأحاديث وتأويل الآيات فحدث ولا حرج، فقد حاول أعداء آل محمد صلى الله عليه وسلم تحريف أو تأويل كل حديث أو آية تنص على فضل وكرامة العترة الطاهرة، ومنع الرواة من ذكر الأحاديث النبوية التي تصرح بأرجحية الإمام علي عليه السلام وفضله على غيره. ومن أجل ذلك ضُربت كثير من الأعناق وقُطعت الأيدي والأرجل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولم تقف مسألة سرقة الألقاب على أعداء آل محمد، بل ترقت إلى من يدعي التشيع لهم ومحبتهم، فظهر بعض من يدعي العلم لينتحل ألقاب وصفات الأئمة من آل محمد عليهم السلام التي سمّاهم الله تعالى بها وخصّهم الرسول صلى الله عليه وآله بها ونفاها عن غيرهم، ومع الأسف فقد استطاع هؤلاء المنتحلون من إقناع الكثير من عامة الناس، مستغلين غفلتهم وعدم اطلاعهم على روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام. ومن هذه الألقاب والصفات المنتحلة هي (ورثة الأنبياء) و (الراسخون في العلم) و (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) و (آية الله العظمى) وغيرها الكثير، مدّعين أن هذه الصفات للعلماء من غير الأئمة المعصومين من آل محمد عليهم السلام، وفي الحقيقة أن هذا ظلم لآل محمد عليهم السلام يضاف إلى مظالمهم السابقة. فمن اعتقد بذلك عن جهل وعدم إطلاع على حقيقة الأمر، فنحن ننبهه ونسأل الله تعالى له الهداية، ومن اعتقد بذلك عن علم وتعمد لانتحال صفات الأئمة الأطهار عليهم السلام، فهو مشمول بلعنة الإمام الصادق عليه السلام في زيارة عاشوراء، إذ قال عليه السلام:

(ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها).

قال تعالى: **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾** ^(١).

وسيتبين لك عزيزي القارئ أن هذه الصفات كلها خاصة بالأئمة المعصومين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، وسأعتمد في إثبات ذلك على القرآن الكريم والسنة المطهرة للرسول صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام؛ لأنه لا يسعنا معرفة الحق من الباطل إلا من خلال ذلك، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وآله: **(أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يرده عليّ الحوض)** ^(٢).

وقوله صلى الله عليه وآله: **(علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار)** ^(٣). وما بعد الحق إلا الضلال المبين.

وأما من ركب رأسه وأصبح منكوساً يُجْرَفُ الكلم عن مواضعه، فنقول له نعم الحكم الله تعالى، والموعود القيامة، والخصم محمد صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام.

١- الشعراء: ٢٢٧.

٢- مختصر بصائر الدرجات - للحسن بن سليمان الحلي: ص ٩٠.

٣- بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٣٥٢.

ومما حثني على الإقدام على كتابة بحث خاص في هذا الموضوع هو سكوت الجميع عن بيان هذا الأمر ووضع النقاط على الحروف ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة، وأسأل الله تعالى أن ينتفع المؤمنون بهذا البحث المتواضع، وأن يكتبنا من المدافعين عن محمد وآل محمد باللسان والسنان، وأرجو أن لا يحملني أحد على العدا أو التحامل على العلماء الغير معصومين، فإني أكن كل الاحترام والتقدير للعلماء العاملين المخلصين لآل محمد ﷺ، وأتمنى أن أكون أحد خدمتهم، وإنما حملني على ما سأكتب هو قول الصادقين (عليهما السلام): **(إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان)** ^(١).

وأداء التكليف الشرعي في وجوب هداية الأمة والدفاع عن محمد وآل محمد ﷺ، ولكي لا نحشر يوم القيامة من المهملين لحقهم ﷺ، فإن أحدنا تقوم قيامته ويُضحى حتى بنفسه إن اعتدى شخص على كرامته، فكيف بنا إذا أعتدي على أئمتنا ورموز كرامتنا العترة الطاهرة ﷺ؟ ولا أدعي أن كل ما سأكتبه في هذا الموضوع هو من تحصيلي العلمي الخاص، وإنما هو بفضل الله تعالى وبمنه علينا ييماني آل محمد السيد أحمد الحسن وصي ورسول الإمام المهدي ﷺ، وكل أملي أن تنتبه الأمة من نوم الغفلة ولا تأخذها العزة بالإثم ويقولوا: **﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾**، لكي لا يحشروا يوم القيامة من الظالمين لحق محمد وآل محمد ﷺ، فإن في ذلك خسران الدنيا والآخرة.

وقفنا الله وإياكم لنصرة الحق وأصحاب الحق، وجمعنا الله وإياكم تحت راية الإمام المهدي ﷺ يوم القيام المقدس مقبلين غير مدبرين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الأئمة والمهديين الطاهرين.

ناظم العقيلي

٩/ صفر/ ١٤٢٧ هـ ق

الفصل الثاني:

من هم ورثة الأنبياء

صدر الغصن الأول من (سلسلة الحجّة الظاهرة في الدفاع عن العترة الطاهرة، وهو كتاب ملحمة الفكر الإسلامي والفكر الديمقراطي)، وبين يدي القارئ الغصن الثاني وهو (من هم ورثة الأنبياء، الأوصياء أم العلماء). وأيضاً يتكون من غصن وعدة ثمرات كسابقه.

وللوقوف على حدود معنى الوارث والوراثة لا بد لنا أولاً أن نعرف ما هي صفات الوارث للأنبياء والمرسلين ﷺ، لكي نميّزه عن غيره؟ وما هي موارث الأنبياء والمرسلين؟ لكي نعرفها من خلال الواقع، هل هي متوفرة عند الأئمة المعصومين فقط؟ أم أنها أيضاً متوفرة عند العلماء من غير الأئمة ﷺ؟ حتى يمكننا أن نصفهم بورثة الأنبياء.

فإن ثبت عن طريق القرآن والسنة المطهرة أن صفات الوارث للأنبياء ﷺ لا تتوفر إلا في الأئمة المعصومين، وأن موارث الأنبياء لا توجد إلا عندهم ﷺ، يثبت أن من يصف نفسه أو غيره بـ (ورثة الأنبياء)، قد لبس ثوب غيره ونصب نفسه في مقام لم ينصبه الله تعالى فيه، وبهذا يكون من الغاصبين لحقوق غيره، وأي أناس الذين غصبهم، غصب من تتشرف الملائكة المقربون بخدمتهم، وهم العترة الطاهرة للنبي محمد ﷺ.

وكالعادة لكي نعرف معنى (الوارث) و (الموارث)، لا بد لنا أن نستفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهما الثقلان اللذان أوصانا الرسول محمد ﷺ باتباعهما والاعتراف منهما. فنقسم البحث إلى جهتين: الجهة الأولى (صفات الوارث في القرآن والسنة)، والجهة الثانية (معنى موارث الأنبياء في القرآن والسنة المطهرة).

الجهة الأولى : صفات الوارث

أعلم أن الوارث هو الحجة بعد الحجة، وهو الإمام، لقول الإمام الرضا عليه السلام: (إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء. إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين (عليهما السلام) ...).^(١)

فالوارث للأنبياء صلى الله عليهم وآله له صفات خصّه الله بها، لا توجد في غيره؛ لأنه واحد دهره، كما وصفه الإمام الرضا عليه السلام: (... الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير ...).^(٢)

وسأعرض لبعض صفات الوارث والاستدلال على أنها خاصة بالأئمة المعصومين عليهم السلام ولا تصدق على غيرهم من علماء أو عبّاد ... وسأعتمد في ذلك كتاب الكافي في الأعم الأغلب، لمصنّفه ثقة الإسلام الشيخ الكليني (طاب ثراه)؛ لأنه أوثق كتاب عند الشيعة على الإطلاق.

١- الوارث مصطفى من الله تعالى:

لا شك أن الله تعالى هو خالق الخلق وهو الأعلّم بمصلحتهم ومفسدهم، ومطلع على ما تخفيه ضمائرهم، ولذلك فلا يمكن لأحد أن يُعيّن إماماً بعد إمام إلاّ الله تعالى، وبما أن ورثة الأنبياء هم الحجج على الخلق بعدهم، فلا بد أن يكون اختيارهم وتعيينهم عن طريق الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

عن سالم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٤)، قال عليه السلام: (السابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف للإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الإمام)^(٥).

١- الكافي: ج ١ ص ٢٠٠ ح ١.

٢- الكافي: ج ١ ص ٢٢٥.

٣- آل عمران: ٢٦.

٤- فاطر: ٣٢.

٥- الكافي: ج ١ ص ٢٤٠.

من هم ورثة الأنبياء ١٣

وعن أبي ولاد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله وَعَلَيْكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١)، قال: (هم الأئمة عليهم السلام) (٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ (٣)، قال: (أمير المؤمنين وما ولد من الأئمة عليهم السلام) (٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: (أترون الموصي منا يوصي إلى من يريد؟ ! لا والله ولكن عهد من الله ورسوله عليه السلام لرجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه) (٥).

وعن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله وَعَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (٦)، فقال: (نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين) (٧).

إذن فالإمامة والوراثة اصطفاء من الله تعالى ولا يمكن حتى للأئمة عليهم السلام تعيين من يرثهم ويكون الحجة على الناس من بعدهم، وإنما ذلك أمر مقدر من الله تعالى، والأوصياء للرسول محمد عليه السلام الذين ثبتت حجيتهم على الناس هم اثنا عشر إماماً واثنا عشر مهدياً بعد القائم عليه السلام، والدليل هو وصية الرسول عليه السلام الآتية، فكل شخص غير هؤلاء لا يمكن أن تنطبق عليه صفة (وارث الأنبياء) سواء كان عالماً أو غيره.

عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنيات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله عليه السلام - في الليلة التي كانت فيها وفاته - لعلي عليه السلام: (يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة. فأملا رسول الله عليه السلام وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع، فقال: يا علي، إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثني عشر إماماً، سماك الله تعالى في سمائه:

- ١- البقرة: ١٢١.
- ٢- الكافي: ج ١ ص ٣٤١.
- ٣- البلد: ١ - ٣.
- ٤- الكافي: ج ١ ص ٤٧٠.
- ٥- الكافي: ج ١ ص ٣٠٧.
- ٦- النساء: ٥٩.
- ٧- الكافي: ج ١ ص ٣١٧.

علياً المرتضى، وأمير المؤمنين، والصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصح هذه الأسماء لأحد غيرك.

يا علي، أنت وصيي على أهل بيتي حيهم وميتهم، وعلى نسائي: فمن ثبتها لقيتني غداً، ومن طلقها فأنا بريء منها، لم ترني ولم أرها في عرصة القيامة، وأنت خليفتي على أمتي من بعدي، فإذا حضرتك الوفاة فسلمها إلى ابني الحسن البر الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه سيد العابدين ذي الثغفات علي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة التقي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد عليهم السلام. فذلك اثنا عشر إماماً، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين^(١).

وعن الباقر والصادق عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾^(٢)، قال:

(هي لنا خاصة، إيانا عنى)^(٣).

٢- الوارث معصوم:

قد ثبت عن طريق النقل والعقل أن الحجة على الناس لا بد أن يكون معصوماً مطهراً من الذنوب والعيوب، وبما أن ورثة الأنبياء هم أولى الناس بالأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم قد ورثوا العلم والحكمة وكل الموارد، فهم الحجج على الناس بعد الأنبياء.

١- الغيبة - للشيخ الطوسي: ص ١٥٠.

٢- فاطر: ٣٢.

٣- الوسائل: ج ١٨ ص ١٤٧.

إذن فلا بد أن يكونوا معصومين لا يأمرون الناس بمعصية، وكل شخص لا يتصف بالعصمة لا يمكن أن تكون طاعته واجبة على الناس؛ لأن غير المعصوم ممكن الخطأ والانحراف، ووجوب طاعته يكون أمراً بإتباع المخطئ والمنحرف، وهذا محال على الله تعالى.

وقد أكد الله تعالى ورسوله ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ على هذه الحقيقة وأوضحوها بصورة لا يعترها غموض، ولكن الكثير من القوم قد أسدلوا عليها الستار طمعاً بالمنصب والأتباع، ولبقاء قولهم واجب التنفيذ، وبذلك قد اغتصبوا مقام الأئمة الأطهار ﷺ الذين هم ورثة الأنبياء والمرسلين ﷺ.

عن أحمد بن عمر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: وأتاه رجل فقال له: إنكم أهل بيت الرحمة اختصكم الله تبارك وتعالى بها، فقال له: **(كذلك نحن والحمد لله لا ندخل أحداً في ضلالة ولا نخرجه من هدى، إن الدنيا لا تذهب حتى يبعث الله ﷻ رجلاً منا أهل البيت يعمل بكتاب الله، لا يرى فيكم منكراً إلا أنكره)** (١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث أخذت منه مقدار الحاجة، قال عليه السلام: (... فلا طاعة في معصية الله ولا طاعة لمن عصى الله، إنما الطاعة لله ولرسوله ﷺ ولولاة الأمر، وإنما أمر الله بطاعة الرسول ﷺ؛ لأنه معصوم مطهر لا يأمر بمعصية، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر؛ لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصية) (٢).

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: **(الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلا منصوفاً. فقيل له: يا ابن رسول الله، فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٣) (٤).**

١- الروضة: ح ٥٧٩.
٢- الوسائل: ج ١٨ ص ٩٣.
٣- الإسراء: ٩.
٤- معاني الأخبار: ص ١٣٢.

وكذلك نجد هذا المعنى واضحاً جلياً في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).
فهذه الآية نفت الإمامة عن كل ظالم، وكل عاصٍ لله تعالى فهو ظالم.

إذن لا تكون الإمامة للعاصين بل للمعصومين المهتدين فقط، وهم الأئمة المعصومون من ذرية الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله الذين قال عنهم الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢)، أي مطهرون من الشك والشرك والعصيان.

وبعد هذا يكون من التجاسر على مراتب الأئمة عليهم السلام القول بأن العلماء الغير معصومين هم ورثة الأنبياء؛ لأنه لا يرث المعصوم إلا معصوم، وقد أجمعت الشيعة بأن الحجج المعصومين هم العترة الطاهرة فقط. وهم الأئمة والمهديون عليهم السلام، وإليك البيان من الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل بعد بيانه لإمامة إبراهيم عليه السلام التي وهبها الله تعالى له بعد النبوة والخلة، فقال عليه السلام بعد ذكر قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٣)، (فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله، فقال جل وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، فكانت له خاصة فقلدها صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين أتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥)، فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال)^(٦).

وهذا نص صريح بأن الوراثة والإمامة استمرت بعد إبراهيم عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله، ثم إلى الإمام علي عليه السلام، ثم الأئمة من ولده عليه السلام إلى يوم القيامة، فكيف يدّعيها غيرهم وصاحبها حي

١- البقرة: ١٢٤.
٢- الأحزاب: ٣٣.
٣- الأنبياء: ٧٢ - ٧٣.
٤- آل عمران: ٦٨.
٥- الروم: ٥٦.
٦- الكافي: ج ١ ص ٢٢٤.

موجود بين أظهرنا وهو الحجة محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، روعي وأرواح العالمين له الفداء؟ فهو وحده وارث الأنبياء والمرسلين والأئمة عليهم السلام، ومن بعده ذريته المهديون عليهم السلام. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والعاقبة للمتقين.

٣- الوارث صاحب الوصية:

استمرت وراثه الأنبياء عليهم السلام من آدم عليه السلام إلى نبينا محمد عليه السلام، يوصي بها السابق إلى اللاحق، فعندما أوصى آدم عليه السلام بها إلى هايل ودفع إليه موارث النبوة، حسده أخيه قابيل وادعى أنه أحق بها منه؛ لأنه الأكبر سنًا، فأجابه آدم عليه السلام بأن الأمر ليس بيده، وإنه باختيار الله تعالى يضعه حيث يشاء، فحسد قابيل هايل فقتله، فكانت هذه الحادثة أول بذرة خبيثة أسست الصراع على وراثه الإمامة، وأستمر قتل آلاف الأنبياء والمرسلين، كل ذلك اعتراضاً على تنصيب الله تعالى ووصايا الأنبياء وتعيينهم لورثتهم. ثم رزق الله تعالى آدم عليه السلام ولدًا ذكرًا أسماه هبة الله، فكان هو وارثه ووصيه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (لما انقضت نبوة آدم وأنقطع أكله، أوحى الله إليه: يا آدم، أنه قد انقضت نبوتك وأنقطع أكلك فأنظر إلى ما عندك من العلم والإيمان وميراث النبوة وآثار العلم والاسم الأعظم فاجعله في العقب من ذريتك عند هبة الله، فإني لن أدع الأرض بغير عالم يعرف به الدين ويعرف به طاعتي ويكون نجاة لمن يولد بين قبض النبي إلى ظهور النبي الآخر) ^(١).

واستمرت هذه الوراثة والوصية من وصي إلى آخر حتى مبعث نبي الله نوح عليه السلام، ومن بعده حتى انتهت إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام، فأوصى بها إلى إسماعيل عليه السلام ومن بعده ... هلم جرأ إلى نبي الله موسى، ثم إلى نبي الله زكريا فيحيي فعيسى عليه السلام، ثم ختمت النبوة بالنبي الأكرم محمد عليه السلام، فاجتمعت عنده كل موارث الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ووصاياهم، فكان هو الوارث المنصوص عليه والمبشر به في كل الكتب السماوية السابقة وعلى لسان كل الأنبياء والمرسلين والأوصياء.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١).

وكما قدّمت فيما سبق من أن الوصي والوارث لا بد أن يكون معصوماً عن إدخال الناس في باطل أو إخراجهم من حق، والعصمة أمر باطني وليس بظاهر، فلا يعلمه إلا الله تعالى، فلا بد من اختياره من قبل الله تعالى والوصية به عن طريق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، كما نص على ذلك الإمام السجاد عليه السلام حين قال في حديث له: (الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلا منصوصاً...) ^(٢). (ومنصوصاً أي موصى به من قبل الله تعالى عن طريق الرسول محمد صلى الله عليه وآله).

وقد بين الله تعالى أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله في وصيته عند وفاته والتي أتاه بها جبرائيل عليه السلام عن الله تعالى فسماهم واحداً بعد واحد، من أيهم وسيدهم وأفضلهم علي بن أبي طالب عليه السلام فالحسن والحسين (عليهما السلام)، حتى انتهى إلى المهدي المنتظر عليه السلام، ثم ولده أحمد، فالمهديين من ذرية أحمد المهدي ولكن بدون تشخيص أسمائهم.

والظاهر أن من أسباب تسمية أول ولد ووارث للإمام المهدي عليه السلام، هو لوقوع الاختلاف والافتراق فيه من قبل الأمة؛ لأنه يظهر قبل قيام الإمام المهدي عليه السلام بالسيف كما تشير إليه الوصية الآتية، وأما بقية ذرية الإمام المهدي عليه السلام لم تذكر أسمائهم في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأن الإمام المهدي عليه السلام هو الذي سيخص أسمائهم واحداً واحداً بعد قيامه الشريف وقبل استشهاده، كما نص رسول الله صلى الله عليه وآله على أوصيائه واحداً واحداً، فلا تبقى حجة لمحتج ولا عذر لمعتذر في الالتواء على الأوصياء من ذرية القائم عليه السلام.

وربما يفاجئ البعض ويستغرب من ذكر المهديين من ذرية الإمام المهدي عليه السلام في هذه الوصية، فأقول له: أن هذه الوصية ذكرها الشيخ الطوسي في الغيبة (ص ١٥٠)، وهذا الكتاب يعتبر من أوثق الكتب الشيعية، ومؤلفه هو شيخ الطائفة وهو غني عن التعريف، وذكرها المجلسي

١- الصف: ٦.

٢- معاني الأخبار: ١٣٢.

(رحمه الله) في بحاره، وذكرها الحائري في إلزام الناصب، وذكرها السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر في تاريخ ما بعد الظهور (ص ٦٤٠)، وغيرها من مصادر الحديث المعتمدة.

ثم إن هذه الوصية مؤيدة بقرائن كثيرة، مثل قول الإمام الصادق عليه السلام لأبي حمزة في حديث طويل: **(... يا أبا حمزة، إن منّا بعد القائم أحد عشر مهدياً من ولد الحسين)** ^(١).

وفي الحديث عن أبي بصير، قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: يا ابن رسول الله، إني سمعت من أبيك عليه السلام أنه قال: يكون بعد القائم اثنا عشر مهدياً. فقال الصادق عليه السلام: **(إنما قال: اثنا عشر مهدياً ولم يقل اثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى مولاتنا ومعرفة حقنا)** ^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: **(إن منّا بعد القائم اثنا عشر مهدياً من ولد الحسين)** ^(٣).

وعن الإمام السجاد عليه السلام: **(يقوم القائم منّا ثم يكون بعده اثنا عشر مهدياً)** ^(٤).

وغيرها الكثير من الروايات التي تؤكد على حكم المهديين من ذرية الإمام المهدي عليه السلام بعد أبيهم، ثم يكون بعد ذلك الرجعة للأئمة عليهم السلام. وقد ضبط الأستاذ ضياء الزيدي في كتابه (المهديين) ما يناهز الأربعين رواية تذكر ذرية الإمام المهدي عليه السلام، ومن أراد المزيد من التوضيح فليراجع كتاب (الرد الحاسم على منكري ذرية القائم)، و (الوصية والوصي أحمد الحسن).

وموضوع الكلام، هو أن ورثة الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وآله هم الأئمة المعصومون من ذرية الإمام علي عليه السلام، والمهديون من ذرية الإمام المهدي عليه السلام بعد أبيهم عليه السلام. فلا يكون الوارث وارثاً أو وصياً إلا أن يكون منصوباً عليه بالاسم والصفة، ويعتبر ذكره والوصية به من أهم العلامات المشخصة له عن غيره.

وإلى هذا المعنى أشار الأئمة عليهم السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **(إن الوصية نزلت من السماء على محمد كتاباً، لم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية، فقال جبرائيل عليه السلام: يا محمد، هذه وصيتك في**

١- غيبة الطوسي: ص ٣٠٩.

٢- كما الدين وتمام النعمة: ص ٣٥٨ ح ٥٦.

٣- بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ١٤٨.

٤- شرح الأخبار: ج ٣ ص ٤٠٠.

أمتك عند أهل بيتك، فقال رسول الله ﷺ: أي أهل بيتي يا جبرائيل؟ قال: نجيب الله منهم وذريته ليرثك علم النبوة كما ورثه إبراهيم عليه السلام وميراثه لعلي عليه السلام وذريته من صلبه، قال: وكان عليها خواتيم، قال: ففتح علي عليه السلام الخاتم الأول ومضى لما فيها، ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني ومضى إلى ما أمر به، فلما توفي الحسن ومضى، فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وتقتل وأخرج بأقوام للشهادة ولا شهادة لهم إلا معك، قال: ففعل عليه السلام...^(١).

وفي حديث طويل عن تميم بن بهلول، عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: (... وهم عترة الرسول عليه وعليهم السلام المعروفون بالوصية والإمامة، لا تخلوا الأرض من حجة منهم في كل عصر وزمان وفي كل وقت وأوان، وهم العروة الوثقى، وأئمة الهدى، والحجة على أهل الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكل من خالفهم ضال مضل تارك للحق والهدى، وهم المعبرون عن القرآن، الناطقون عن الرسول ﷺ، من مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية)^(٢).

وفي محاجة الإمام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون (لعنه الله)، إذ سأل أحدهم: (يا ابن رسول الله بأي شيء تصح الإمامة لمدّعياها؟ قال عليه السلام: **بالنص والدليل**، قال له: فدلالة الإمام فيما هي؟ قال عليه السلام: **في العلم واستجابة الدعوة**)^(٣).

بل ورد أن الإمام المهدي عليه السلام عند قيامه يعرف بالوصية ووراثته العلماء أي الأئمة إمام بعد إمام.

فمن الباقر عليه السلام في حديث طويل: (... **فيبايعونه بين الركن والمقام، ومعه عهد من رسول الله ﷺ، قد توارثته الأبناء عن الآباء. والقائم يا جابر رجل من ولد الحسين يصلح الله أمره في ليلة، فما أشكل على الناس من ذلك يا جابر فلا يشكلن عليهم ولادته من رسول الله ﷺ، ووراثته العلماء عالم بعد عالم**)^(٤).

١- الكافي: ج ١ ص ٢٧٩ ح ١.

٢- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٥٨.

٣- عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٢١٦.

٤- غيبة النعماني: ص ٢٨٩.

ومن الواضح أن العهد الذي توارثه الأئمة عليهم السلام عن رسول الله ﷺ هو الوصية على الأئمة واحداً بعد الآخر، فالإمام المهدي عليه السلام هو صاحب الوصيات، أي إن وصايا الأئمة قد اجتمعت عنده، وبين هذا الحديث أيضاً أن الإمام المهدي عليه السلام هو وارث الأئمة والأنبياء عليهم السلام وليس غيره، بل عدّ الإمام الباقر عليه السلام هذه من العلامات التي لا ينبغي أن تشكل على الناس. وقد وردت الإشارة إلى أن قبل قيام الإمام المهدي عليه السلام يخرج ابن له من ذريته يوصف بأنه ابن صاحب الوصيات.

عن أبي الحسن عليه السلام، قال: (كأني برايات من مصر مقبلات، خضر مصبغات، حتى تأتي الشامات، فتهدى إلى ابن صاحب الوصيات) ^(١).

وتهدى أي تابع ابن صاحب الوصيات، الذي هو ابن الإمام المهدي عليه السلام؛ لأن صاحب الوصيات ووارثها هو الإمام المهدي عليه السلام.

عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل نقتطف منه مقدار الحاجة: (... ثم يخرج من مكة هو ومن معه الثلاثمائة وبضعة عشر يباعونه بين الركن والمقام، معه عهد نبي الله ورايته وسلاحه ووزيره معه، فينادي المنادي بمكة باسمه وأمره من السماء حتى يسمعه أهل السماء كلهم، اسمه اسم نبي، ما أشكل عليكم فلم يشكل عليكم عهد نبي الله ورايته وسلاحه والنفس الزكية من ولد الحسين إلى أن يقول: ... وإياك وشذاذ من آل محمد ﷺ، فإن لآل محمد وعلي راية، ولغيرهم رايات. فألزم الأرض ولا تتبع منهم رجلاً أبداً حتى ترى رجلاً من ولد الحسين عليه السلام معه عهد نبي الله ورايته وسلاحه، فإن عهد نبي الله صار عند علي بن الحسين، ثم صار عند محمد بن علي ويفعل الله ما يشاء ...) ^(٢).

ولا يخفى على القارئ الفطن شدة التأكيد على عهد رسول الله ﷺ (الوصية)، وبها يعرف القائم وذريته عليهم السلام. ولا يخفى أيضاً أن ورثة الأنبياء عليهم السلام هم الأئمة خاصة الذين معهم وصية رسول الله ﷺ. وإليك هذا الحديث الذي ينص أيضاً على أن ورثة الأنبياء هم علماء آل محمد خاصة، أي الأئمة المعصومين عليهم السلام.

عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: (أيها الناس، عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعذرون بجهالته، فإن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما (فضلت به) النبون إلى خاتم النبیین في عترة محمد المصطفى عليه السلام، فأين يتاه بكم؟ بل أين تذهبون؟! يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة، هذه مثلها فيكم فأركبوها، فكما نجا في هاتيك من نجا، فكذلك ينجو في هذه من دخلها، أنا رهين بذلك قسماً حقاً وما أنا من المتكلفين...) (١).

وبعد هذا كله نختم ونقول: إن وراثه الأنبياء والأئمة لا تكون إلا بوصية خاصة من الله ورسوله عليه السلام، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢)، وهم الأئمة المعصومون والمهديون من ذرية القائم عليه السلام، فمن ادعى من غيرهم أنه من وراثه الأنبياء، فنقول له هات الوصية، وإلا فأنت سارق لحق غيرك!!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

٤- الوارث عالم لا يجهل:

اختص الله تعالى الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين بالعلم والحكمة؛ ليغنيهم عن غيرهم وليميزهم عن سواهم من سائر الناس، ولإقامة الحججة على الخلق بهم عليهم السلام. فالحجة على الخلق لا يتعلم من غيره، بل علمه من الله تعالى، بخلاف سائر الناس، فإنهم مفتقرون إلى تحصيل العلوم من غيرهم، فلا بد لهم من معلم يميزهم العلم والمعرفة. فمن جعل معلمه الأنبياء والمرسلين والحجج الميامين، فقد انتهل من العين الصافية التي لا يشوبها كدر، ومن أعرض عن أبواب الله تعالى، اغترف من آجن وضل وأضل من حيث يعلم أو لا يعلم.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (٣).

ومن البديهي أن من يستحق وراثه الأنبياء عليهم السلام هو أعلم الناس وأفضلهم وأتقاهم بعد الأنبياء عليهم السلام، فمن هو بهذه الصفة غير الأئمة المعصومين عليهم السلام من ذرية الرسول محمد عليه السلام، وقد فصل الإمام الرضا عليه السلام هذا المعنى في كلام طويل، نقتطف من ما يناسب هذا البحث، حيث قال في

١- الإرشاد: ص ٩٠.

٢- آل عمران: ٣٤.

٣- الملك: ٣٠.

وصف الإمام: (... الإمام المطهر من الذنوب، المبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين، الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب ... إلى أن يقول عليه السلام: فكيف لهم باختيار الإمام؟! والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة .. نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة ... أن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقه الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ولا يؤتیه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١) ... إلى أن يقول: وأن العبد إذا اختاره الله تعالى لأمر عبادته شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بجواب، ولا يحير فيه عن صواب، فهو معصوم مؤيد موفق مسدد، قد أمن من الخطايا والزلل والعتار، يخصه الله بذلك ليكون حجته (البالغة) على عبادته وشاهده على خلقه و (ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء) فهل يقدر على مثل هذا فيختارونه؟ أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه؟ تعدوا - وبيت الله - الحق ونبذوا (كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ... الحديث)^(٢).

والحق أقول: إن الإمام الرضا عليه السلام لم يبق حجة محتج ولا عذر لمعتذر في اتباع غير الأئمة المعصومين عليهم السلام، وجعلهم أئمة يأخذون كلامهم أخذ المسلمات ويصفونهم (بورثة الأنبياء)، وهو ثوب الأئمة المعصومين والمهدين عليهم السلام من ذرية القائم عليه السلام لا يدعيه غيرهم إلا منتحل لغير صورته ولا بس لثوب غيره.

فعن الصادق عليه السلام: (... إن الله لا يجعل حجة في أرضه يُسأل عن شيء فيقول لا أدري)^(٣).

١- يونس: ٣٥.
٢- الكافي: ج ١ ص ٢٢٢.
٣- الكافي: ج ١ ص ٢٢٧.

وعن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: **(إن الأرض لا تُترك إلا بعالم يحتاج الناس إليه ولا يحتاج إلى الناس، يعلم الحلال والحرام)** ^(١).

نعم، فالوارث والحجة لا يحتاج إلى أحد ولا يسأل أحداً، بخلاف غيره من الناس، فإنهم لا بد لهم من التلمذة على أيدي الناس؛ لأن علمهم يأتيهم عن طريق الاكتساب، وأما ورثة الأنبياء فعلمهم وراثته عن الأنبياء، فلذلك لا يحتاجون إلى سؤال الناس. وهذه الصفة لا توجد إلا في الأئمة المعصومين عليهم السلام من ذرية الرسول محمد صلى الله عليه وآله، ومن ادعاها من غيرهم فهو كذاب مفتر بدليل قول الإمام الباقر عليه السلام: **(إن العلم الذي هبط مع آدم عليه السلام لم يرفع، والعلم يتوارث، وأنه لم يمت عالم إلا خلف من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله)** ^(٢).

وعن الحارث بن المغيرة أيضاً، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (قلت له: العلم الذي يعلمه عالمكم بما يعلم؟ قال عليه السلام: **وراثته من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن علي عليه السلام يحتاج الناس إليه ولا يحتاج الناس)** ^(٣)).

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الوارث للأنبياء وللرسول محمد صلى الله عليه وآله لا بد أن يكون عنده تفسير كل القرآن، ظاهره وباطنه، ولا يوجد ذلك إلا عند الأئمة المعصومين عليهم السلام بدليل قول الباقر عليه السلام: (ما ادّعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام) ^(٤).

وعن الباقر عليه السلام أنه قال: (ما يستطيع أحد أن يدّعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء) ^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (إن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وأن الناس ليحتاجون إلينا، وإن عندنا كتاباً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام صحيفة فيها كل حلال وحرام، وأنكم لتأتوننا بالأمر فنعرف إذا أخذتم به ونعرف إذا تركتموه) ^(٦).

١- المحاسن: ج ١ ص ٣٣.
٢- المحاسن: ج ١ ص ٢٣٥.
٣- بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٧٨.
٤- الكافي: ج ١ ص ٢٥٥.
٥- الكافي: ج ١ ص ٢٥٥.
٦- الكافي: ج ١ ص ٢٦٧.

وعن سيف التمار، قال: (كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال: **علينا عين،** فالتفتنا يمنا ويسرة فلم نر أحداً فقلنا: ليس علينا عين، فقال: **ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما إني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأن موسى والخضر (عليهما السلام) أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثته) ^(١).**

فالأئمة عليهم السلام هم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله لا غيرهم، وهم أعلم الناس، ولا يكون الوارث للأنبياء إلا معصوماً منصوباً عالماً بلا تعلم من أحد من الناس، ولا تتوفر هذه الصفات في أحد ولم يدعها أحد من علماء الشيعة ولا غيرهم، فيثبت أن الوراثة خاصة بالأئمة عليهم السلام؛ لعدم توفر شروط الوارث في غيرهم ولا يخالف في ذلك إلا جاهل لا يحسن مكالته.

٥- الوارث واجب الطاعة:

ثبت فيما سبق أن الوارث مصطفى من الله تعالى، ومعصوم ومنصوص عليه بوصية، وإنه أعلم الناس بعد الأنبياء والرسول صلى الله عليه وآله. وبما أن من يمتلك كل هذه الصفات يكون أفضل الخلق على الإطلاق في عصره وأقربهم إلى الله تعالى، فتعين أن يكون هو الواسطة بين الخلق وخالقهم؛ لأن الله تعالى تنزه أن يواجه الخلق بالمباشرة، فلذلك تجب طاعة الأنبياء والرسول وورثتهم؛ لأنهم معصومون عن الخطأ والزلل، ولا يدخلون الناس في باطل ولا يخرجونهم من حق أبداً.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ ^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ ^(٤).

١- الكافي: ج ١ ص ٢٨٧.

٢- آل عمران: ٣١.

٣- النساء: ٦٤.

٤- الأحزاب: ٣٦.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢).

وغيرها عشرات الآيات التي تنص على وجوب طاعة الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين عليهم السلام.

وبما أن الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ حددا لنا مصادر التشريع والهداية وهما القرآن والسنة المطهرة للرسول ﷺ والأئمة الطاهرين، وجب علينا الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة لمعرفة العلة التي من أجلها أمر الله تعالى بطاعة الأنبياء وورثتهم.

قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤).

وعن سماعة، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: (قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، أم تقولون فيه؟ قال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ)^(٥).

وإليك البيان من القرآن الكريم والسنة المطهرة:

ففي بيان، أن الأنبياء وورثتهم لا يقولون بآرائهم ولا يعصون الله تعالى، قال ﷻ: ﴿وَمَا

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾^(٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٨).

١- النساء: ٥٩.

٢- المائدة: ٥٥.

٣- الأنعام: ٣٨.

٤- النحل: ٨٢.

٥- الكافي: ج ١ ص ٨٣.

٦- النجم: ٣ - ٤.

٧- الحاقة: ٤٤ - ٤٥.

٨- يس: ٣ - ٤.

وقال تعالى على لسان مؤمن ياسين: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾^(٢).

وغيرها العشرات بل المئات من الآيات الشريفة التي أوجب الله تعالى فيها طاعة الأنبياء وورثتهم؛ لأنهم معصومون لا يأمرون الناس بمعصية، وأنهم ينطقون عن الله تعالى لا عن أنفسهم.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (... فلا طاعة لمخلوق في معصيته، ولا طاعة لمن عصا الله، إنما الطاعة لله ولرسوله عليه السلام ولولاة الأمر، وإنما أمر الله بطاعة الرسول عليه السلام؛ لأنه معصوم مطهر لا يأمر بمعصية، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر؛ لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصية)^(٣).

وعن سفيان بن خالد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إِيَّاكَ وَالرِّيَاسَةَ، فَمَا طَلَبَهَا أَحَدٌ إِلَّا هَلَكَ، فَقُلْتُ: قَدْ هَلَكْنَا إِذْنِ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا إِلَّا وَهُوَ يَجِبُ أَنْ يُذَكَّرَ وَيُقَصَّدَ وَيُؤْخَذَ عَنْهُ، فَقَالَ: لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ، إِنَّمَا ذَلِكَ أَنْ تَنْصِبَ رَجُلًا دُونَ الْحِجَّةِ فَتَصَدِّقَهُ فِي كُلِّ مَا قَالَ وَتَدْعُو النَّاسَ إِلَى قَوْلِهِ)^(٤).

وروي عن النبي محمد عليه السلام: (أَلَا أَنْ أَبْرَارَ عَتْرَتِي وَأَطْيَابِ أُرُومَتِي أَحْلَمَ النَّاسِ صَغَارًا وَأَعْلَمَ النَّاسِ كِبَارًا، فَلَا تَعْلَمُوهُمْ فَأَنْهَمُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، لَا يَخْرُجُونَكُمْ مِنْ بَابِ هُدًى وَلَا يَدْخُلُونَكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ)^(٥).

وقال الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل في وصف الإمام فقال: (... فهو معصوم مؤيد موفق مسدد، قد أمن من الخطايا والزلل والعتار، يخصه الله بذلك ليكون حجته (البالغة) على عباده وشاهده على خلقه...) ^(٦).

١- يس: ٢١.
٢- التكوير: ١٩ - ٢٥.
٣- الوسائل: ج ١٨ ص ٩٣.
٤- الوسائل: ج ١٨ ص ٩٣.
٥- عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٨١.
٦- الكافي: ج ١ ص ٢٢٢.

أقول: لقد تبين من الكتاب والسنة المطهرة، أن العلة التي من أجلها أوجب الله تعالى طاعة الأنبياء والأئمة الطاهرين هي: **عصمتهم عن الانحراف والضلال**. وأن العاصم لهم هو الله تعالى، ولولا ذلك لما وجبت طاعتهم على الناس. وبذلك يثبت أن كل شخص غير معصوم لا تجب طاعته على الناس، سواء كان هذا الشخص عالماً أو حاكماً أو غيره، لعدم اتصافه بالعلة الموجبة لطاعته وهي العصمة. فمن أعتقد بغير المعصوم أنه واجب الطاعة فهو كمن يقول بوجود المعلول بدون علته، وبعبارة أوضح: كمن يقول بإمكان وجود الحرارة بدون النار، أو وجود الضوء من غير سراج!! وهكذا إنسان لا تحسن مكالمته ونقول له: دلنا على نهار قبل شروق الشمس! ثم ناقشك بعد ذلك.

وأما بالنسبة إلى قوله تعالى: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾** فقد تأولها أبناء العامة وطبقوها على الحكام الذين يحكمون البلاد سواء كانوا عدولاً أم فساقاً، وبذلك تعدوا حدود الله تعالى وخالفوا صريح القرآن في قوله تعالى: **﴿... لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**^(١). وغيرها من الآيات الدالة على حرمة طاعة المنحرفين والمتسلطين بغير حق.

وخالفوا أيضاً مئات الأحاديث للرسول محمد ﷺ التي بين فيها أن خلفاءه من بعده هم عترته الطاهرة وآل بيته الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**^(٢).

وأما الطائفة المحقة وهم شيعة آل محمد ﷺ، فقد ذهب أكثر أو كل علمائنا المتقدمين والمتأخرين إلى أنها خاصة بالعترة الطاهرة وقد وفقوا بذلك إلى الرشد والصواب.

وقد شدّ بعض الشيعة وقالوا بإمكان شمول قوله تعالى: **﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾** للعلماء من غير آل محمد ﷺ، وكفانا بالرد على هؤلاء هو قول العترة الطاهرة المعصومة:

عن الحسين بن أبي العلاء، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الأوصياء طاعتهم مفترضة؟ قال: **نعم، هم الذين قال الله ﻻيُذْهِبُ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**

١- البقرة: ١٢٤.

٢- الأحزاب: ٣٣.

الْأَمْرِ مِنْكُمْ^(١)، وهم الذين قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢) (٣).

وعن الحسين أنه سأل جعفر بن محمد عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: (أولوا العقل والعلم. قلنا: أخاص أو عام؟ قال: خاص لنا)^(٤).

وهذا هو الصادق عليه السلام يقول بأن الآية خاصة بهم ولا تشمل غيرهم، فمن وسع دائرة انطباقها على غير الأئمة المعصومين عليهم السلام يعتبر مجتهداً في قبال النص، وهذا بديهي البطلان عند الأمة الإسلامية جمعاء شيعة وسنة، ولا سنة إلا سنة محمد وأهل بيته عليهم السلام. وقد فصلت القول في هذا الموضوع في كتاب (الإفحام) فمن أراد المزيد فليراجع، وسيأتي في مستقبل هذا البحث ما يؤكد ذلك فأرتقب.

وقد تحصل من كل ما تقدم من صفات الوارث: أن الوارث لا بد أن يكون مختاراً من الله تعالى، ومنصوصاً عليه بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يكون أعلم الناس على الإطلاق، وأن يكون واجب الطاعة ومعصوماً، وكل هذه الصفات لا توجد إلا في الأئمة المعصومين من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فمن ادعى أنه من ورثة الأنبياء ولا توجد عنده هذه الصفات فهو كمن يريد نقل الماء في غربال أو كساع إلى الهيجاء بغير سلاح.

وكان من نيتي أن أذكر المزيد من صفات الوارث الخاصة بالأئمة المعصومين عليهم السلام، ولكن المجال لا يسع ذلك، فأعرضت عنها للاختصار، ولأن بما تقدم كفاية لطالب الحق. وأما طالب الباطل (فلو جئتهم بكل آية لا يؤمنون) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبعد كل هذا نعرّج على موارث الأنبياء لتتعرف على حقيقتها، وهل هي موجودة عند الأئمة فقط؟ أم توجد عند غيرهم؟

* * *

الجهة الثانية: ما هي موارث الأنبياء؟

بعد أن تعرضتُ لصفات ورثة الأنبياء عليهم السلام وتبين أنها لا تتوفر إلاّ عند الأئمة المعصومين من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وآله لا يشاركهم فيها أحد، وأما الآن فتعرض لبعض الموارث، ولنرى هل توجد عند غير الأئمة المعصومين عليهم السلام حتى يمكن تسميتهم (بورثة الأنبياء)؟ أم أنها منحصرة عند الأئمة عليهم السلام فقط؟ فيثبت أن كل من يُسمّى نفسه بـ (ورثة الأنبياء) من غير الأئمة عليهم السلام فهو كاذب متحل لصفة غيره.

وسأسرد باختصار بعض الأخبار التي تذكر موارث الأنبياء عليهم السلام، وأنها تنتقل بالوراثة من نبي إلى وصي، ومن وصي إلى وصي، إلى أن وصلت إلى الإمام المهدي عليه السلام.

عن النعمان الرازي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (لما انقضت نبوة آدم وأنقطع أكله أوحى الله إليه: يا آدم، أنه قد انقضت نبوتك وأنقطع أكلك فأنظر إلى ما عندك من العلم والإيمان وميراث النبوة وآثار العلم والاسم الأعظم فاجعله في العقب من ذريتك عند هبة الله، فأني لن أدع الأرض بغير عالم يعرف به الدين ويعرف به طاعتي ويكون نجاة لمن يولد ما بين قبض النبي إلى ظهور النبي الآخر) ^(١).

فمن خلال هذه الرواية نعرف أن من موارث الأنبياء هي: العلم والإيمان وآثار العلم والاسم الأعظم. ولا يوجد الآن أحد يدّعي أن عنده علم الأنبياء كله ولا إيمانهم ولا الاسم الأعظم لا كله ولا بعضه غير الأئمة المعصومين عليهم السلام، فيثبت أن ورثة هذه الموارث هم الأئمة عليهم السلام فقط، وإن العلماء من غير الأئمة عليهم السلام لا يعلمون من ذلك شيئاً إلاّ ما أظهره الأنبياء والأئمة عليهم السلام للناس كافة. ومن يتعلم من الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام ليس بالضرورة أن يكون حجة على الناس وواجب الطاعة إلاّ ما نص عليه بنص واضح وصريح، وهذا النص لا يوجد إلاّ عند الأوصياء فقط أو من ناب عنهم بالخصوص.

عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام: (أما بعد، فإن محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه، فلما قبض صلى الله عليه وآله كنا أهل البيت ورثته. فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا

من هم ورثة الأنبياء من هم ورثة الأنبياء ٣١

والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق ... إلى أن يقول: نحن ورثة أولي العزم من الرسل...^(١).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبي مضى إلا وله وصي، وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبي وعشرين ألف نبي، منهم خمسة أولو العزم؛ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وأن علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد، وورث علم الأوصياء، وعلم من كان قبله، ... الحديث)^(٢).

وقد أكد وأوضح الرسول محمد ﷺ بأن وراثته كل الأنبياء والمرسلين انتهت إليه ومن بعده إلى الإمام علي عليه السلام، وورثة الإمام علي عليه السلام هم الأئمة من ذريته إلى أن انتهت إلى إمام زماننا الحجة محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، فلا يمكن تعديده هذا الوصف إلى غير الأئمة عليهم السلام إلاً بدليل ولا دليل.

عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إن سليمان ورث داود، وإن محمداً ورث سليمان، وإنا ورثنا محمداً، وأن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور وتبيان ما في الألواح، قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال: ليس هذا هو العلم، إن العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة)^(٣).

وهذا هو الإمام الصادق عليه السلام ينص على أنهم هم ورثة الأنبياء وأنهم ورثوا التوراة والإنجيل والزبور، فهل يوجد أحد يدعي أنه عنده هذه الموارد غير الأئمة المعصومين عليهم السلام، ومعنى وراثته التوراة والإنجيل والزبور هو كما أنزلها الله تعالى على موسى وعيسى وداود عليهم السلام لا كما هي محرفة الآن عند اليهود والنصارى، وقد تواترت الروايات بأن هذه الكتب عند الإمام المهدي عليه السلام يستخرجها عند قيامه المقدس ليحاجج بها اليهود والنصارى ويقوم عليهم الحجة البالغة. إذن فوارث الأنبياء والمرسلين الوحيد في زماننا هو الإمام المهدي (روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء) ومن بعده الأوصياء من عترته عليهم السلام.

١- الكافي: ج ١ ص ٢٥٠.
٢- الكافي: ج ١ ص ٢٥٠.
٣- الكافي: ج ١ ص ٢٥١.

روى جابر قال: (أقبل رجل على أبي جعفر عليه السلام وأنا حاضر فقال: رحمك الله، أقبض هذه الخمس مائة درهم فضعها في مواضعها فإنها زكاة أموالي، فقال له أبو جعفر: **بل خذها أنت ضعها في جيرانك والأيتام والمساكين وفي إخوانك من المسلمين، إنما يكون هذا إذا قام قائمنا فإنه يقسم بالسوية ويعدل في خلق الرحمن البر منهم والفاجر، فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، فإنما سمي المهدي؛ لأنه يهدي لأمر خفي، يستخرج التوراة وسائر الكتب من غار (بأنطاكية) فيحكم بأهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان، وتجمع إليه أموال الدنيا كلها ما في بطن الأرض وظهرها فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدماء وركبتم فيه محارم الله، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله) ^(١).**

وأيضاً من موارث النبي محمد صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام هو علم القرآن الكريم ظاهره وباطنه، محكمه ومتشابهه، ناسخه ومنسوخه، خاصه وعامه ... ولا يوجد ذلك عند غير الأئمة المعصومين عليهم السلام، والدليل قول الإمام الباقر عليه السلام: (ما يستطيع أحد أن يدّعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء) ^(٢).

وعن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام، قال: (اسم الله الأعظم ثلاث وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين، وعندنا اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله، مستأثر به في علم الغيب) ^(٣).

فهل يستطيع أحد من الذين يدّعون أنهم ورثة الأنبياء أن يدّعي أن عنده جزء حرف من الاسم الأعظم فضلاً عن ثلاث وسبعون حرفاً، فلا أدري ماذا ورثوا لا علم الكتاب ولا الاسم الأعظم ولا التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا .. ولا .. فبماذا استحقوا هذا الاسم (ورثة الأنبياء)، وهل يكون الوارث وارثاً إذا كان صفر اليدين من الإرث؟! رحم الله عبداً عرف حدّه فوقف عنده.

١- حياة الإمام المهدي عليه السلام للقرشي: ص ٤٦.

٢- الكافي: ج ١ ص ٢٥٥.

٣- الكافي: ج ١ ص ٢٥٧.

ومن موارث الأنبياء ﷺ عصا موسى ﷺ، وهي عند الأئمة المعصومين ﷺ يتوارثونها واحداً بعد الآخر، وهي الآن عند القائم ﷺ.

فمن أبي جعفر ﷺ، قال: (كانت عصا موسى ﷺ، فصارت إلى شعيب، ثم صارت إلى موسى بن عمران، وأنها لعندنا، وإن عهدي بها آفا وهي خضراء كهيتها حين انتزعت من شجرتها، وأنها لتنطق إذا استنطقت، أعدت لقائنا ﷺ يصنع بها ما كان يصنع موسى، وأنها لتروع وتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به) ^(١).

وعن أبي عبد الله ﷺ، قال: (ألواح موسى ﷺ عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثة النبيين) ^(٢).

وأظن أن هذه صفة قوية حيث ربط الإمام الصادق ﷺ بين ألواح موسى وعصاه وبين وراثة النبيين، أي أن الوارث للأنبياء يجب أن يمتلك موارثهم كعصا موسى وألواحه ﷺ، وأما من لم يمتلك هذه الموارث فلا يسمى وارثاً للأنبياء بل يكون حاله كحال العنكبوت، اتخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت، وما بعد الحق إلا الضلال المبين.

وعن أبي عبد الله ﷺ في حديث أقتطف منه نهايته، قال: (... كل نبي ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى آل محمد ﷺ) ^(٣).

وتواترت الروايات بأن الإمام المهدي ﷺ هو وارث ذلك العلم، ولن يظهره إلا عند قيامه، فمن أين لغيره وراثة هذا العلم وهو مخزون عند صاحبه لا يظهره إلا في حينه ليكون حجة على الجهلاء من علماء السوء الذين يدعون أنهم ورثة الأنبياء كذباً وبهتاناً ليستغفلوا الناس بذلك ويجمعونهم حولهم طلباً للمنصب والجاه والمال وغيرها من الأمور الدنيوية الرخيصة.

وإليك أيها القارئ هذه الرواية التي تبين عظيم منزلة ورثة الأنبياء وعظمة الموارث التي عندهم والتي ميزهم الله تعالى بها عن سائر الناس بحيث لا يشركهم بها غيرهم.

عن أبي بصير، قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، إني أسألك عن مسألة ها هنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرجع أبو عبد الله عليه السلام سترًا بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال: **يا أبا محمد، سل ما بدا لك**، قال: قلت: جعلت فداك، إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ علم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: **يا أبا محمد، علم رسول الله ﷺ علياً عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب**، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: فنكت ساعة في الأرض ثم قال: **إنه لعلم وما هو بذلك**، قال: ثم قال: **يا أبا محمد، وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة**، قال: قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟ قال: **صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليّ وقال: تأذن لي يا أبا محمد؟** قال، قلت: جعلت فداك، إنما أنا لك فأصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: **حتى أرش هذا، كأنه مغضب**، قال، قلت: هذا والله العلم، قال: **إنه لعلم وليس بذلك**، ثم سكت ساعة ثم قال: **وأن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر**، قال: قلت: وما الجفر؟ قال: **وعاء من أدم، فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل**، قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال: **أنه لعلم وليس بذلك**، ثم سكت ساعة ثم قال: **وإن عندنا مصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام**، قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: **مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد**، قال: قلت: هذا والله علم، قال: **أنه لعلم وما هو بذلك**، ثم سكت ساعة، ثم قال: **إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة**، قال: جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: **أنه لعلم وليس بذلك**، قال: جعلت فداك فأبي شيء العلم؟ قال: **ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة**^(١).

نعم، هؤلاء هم ورثة الأنبياء حقاً وصدقاً ينحدر عنهم السيل ولا يرقى إليهم الطير، هؤلاء هم الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: **(علماء أمتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل)**^(٢)؛ لأنهم جمعوا

كلّ موارث الأنبياء وعلمهم والاسم الأعظم وعلم رسول الله ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق، فلا بد أن يكونوا أفضل من أنبياء بني إسرائيل.

ثم نسأل هؤلاء الذين يدعون أنهم ورثة الأنبياء ﷺ، هل عندكم الجامعة؟ وهل عندكم الجفر؟ وهل عندكم مصحف فاطمة؟ وهل عندكم علم ما كان وما يكون؟ هل عندكم علم القرآن ظاهره وباطنه؟ والجواب أكيداً كلاً. إذن فلا يصدق عليكم ورثة الأنبياء، بل تنحصر الورثة بالأئمة والمهديين المعصومين من آل محمد ﷺ.

وفي نهاية هذا الفصل تحصل مما تقدم أن العلماء من غير آل محمد ﷺ لم ولن تتوفر فيهم صفات الوارث كالعصمة والوصية والاختيار من الله تعالى والعلم الذي لا يشوبه جهل، وأيضاً لا توجد عندهم موارث الأنبياء كالاسم الأعظم والعلم والتوراة والإنجيل والزبور وعصا موسى وخاتم سليمان وتابوت بني إسرائيل والجامعة والجفر ومصحف فاطمة وعلم ما كان وما يكون وغيرها من الموارث، وعدم امتلاك غير الأئمة ﷺ لهذه الموارث ثابت واقعاً وبداهة ومجمع عليه عند الجميع، فلا يناقش فيه إلاّ منحرف التفكير والعقيدة.

وقد أستحق الأئمة ﷺ اسم (ورثة الأنبياء) لامتلاكهم هذه الموارث، فمن السّفه أن يطلق هذا الاسم أو الصفة على أشخاص لا يمتلكون موارث الأنبياء.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

وبعد إكمال هذا الغصن بتوفيق الله تعالى نتوجه إلى قطف ثماره، سائلين الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يجمعنا مع محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد ورثة الأنبياء والمرسلين وسلم تسليماً.

* * *

الثمرات

سأجعل ثمرات هذا الغصن عبارة عن رد بعض الإشكالات التي ترد عليه، وأيضاً لرد بعض آراء الشيخ يعقوبي في هذا الموضوع، وإن شاء الله تعالى سأعتمد الموضوعية في البحث والاعتماد على الثقلين (القرآن والسنة المطهرة) ومن الله العون والتسديد.

الثمرة الأولى:

ربما يعترض بعض الناس ويقول: كيف لا يمكن وصف العلماء (بورثة الأنبياء) وقد قال عنهم الإمام الصادق عليه السلام: **(إن العلماء ورثة الأنبياء؛ وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) (١).**

فإن المقصود بالعلماء في هذا الحديث هم العلماء من غير الأئمة عليهم السلام.

ويرد عليه:

أن تفسير كلمة (العلماء) الواردة في الحديث السابق بالعلماء غير المعصومين تفسير خاطئ، ولعل الكثير وقع في هذا الاشتباه لعدم التدقيق في أجزاء ذلك الحديث.

فذكر مفردة (العلماء) في كثير من كلام أهل البيت عليهم السلام المقصود منها هم علماء آل محمد وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام، وخصوصاً الأحاديث التي تنص على وجوب طاعة العلماء مثلاً، والأحاديث التي تنص على أن العلماء أفضل من أنبياء بني إسرائيل، وغيرها من الأحاديث التي يراد منها الأئمة المعصومون عليهم السلام.

فتارة يطلق أسم (العالم) ويراد منه العالم المطلق، أي الذي لا يجهل شيئاً تحتاج إليه الأمة، والذي يكون واجب الطاعة على الناس لاتصافه بالعصمة. والعالم بهذا المعنى لا يصدق إلا على الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وتارة أخرى يطلق اسم (العالم) ويراد منه مطلق العالم، أي كل شخص لديه علم محدود اكتسابي، وهكذا شخص لا يتصف بوجود طاعة الناس له؛ لأنه يفتقر إلى العصمة المانعة من الخطأ والانحراف، والعالم بهذا المعنى يصدق على العلماء غير المعصومين في كل عصر، وهؤلاء العلماء ينقسمون إلى: علماء ربانيين عاملين مجاهدين، وعلماء سوء ضالين مضلين. وأحياناً يصف الأئمة عليهم السلام العلماء غير المعصومين بـ (المتعلمين)، ويصفون الأئمة المعصومين بـ (العلماء).

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **(يغدوا الناس على ثلاثة أصناف: عالم، ومتعلم، وغشاء. فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس غشاء)** ^(١).

وهذا الحديث يفسر ويحكم كلام أمير المؤمنين عليه السلام في أصناف الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قال عليه السلام: **(إن الناس آلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ثلاثة: آلوا إلى عالم على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره، وجاهل مدّع للعلم له معجب بما عنده وقد فتنته الدنيا وفتن غيره، ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة ثم هلك من ادعى وخاب من افتري)** ^(٢).

وبالجمع بين الحديثين ينتج أن المقصود بالعلماء هم أهل البيت عليهم السلام فقط بدليل قول الإمام علي عليه السلام: **(عالم على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره)**، أي أنه معصوم لا يحتاج إلى علم غيره؛ لاستغنائه بما علّمه الله تعالى وما ورثه من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وقد هلك من ادعى أنه عالم ولم يكن معصوماً من أهل البيت عليهم السلام.

وفي حديث عن الرضا عليه السلام اخترنا منه ما يخص المقام حيث قال لأحد أصحابه: **(... أو تدري من العلماء؟ قلت: لا يا ابن رسول الله، قال: فقال: هم علماء آل محمد عليهم السلام الذين فرض الله صلى الله عليه وآله طاعتهم وأوجب مودتهم...)** ^(٣).

إذن، العلماء الذين أوجب الله طاعتهم هم الأئمة المعصومون فقط دون غيرهم من العلماء الغير معصومين، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل: **(يا كميل، لا غزو إلا مع إمام عادل، ولا نقل إلا من إمام فاضل. يا كميل، هي نبوة ورسالة وإمامة وليس بعد ذلك إلا موالين**

١- الكافي: ج ١ ص ٥١.

٢- الكافي: ج ١ ص ٥١.

٣- معاني الأخبار: ص ١٨٠.

متبعين أو منادين مبتدعين إنما يتقبل الله من المتقين، لا تأخذ إلا عنا تكن منا..
الحديث^(١).

أي ليس بعد النبوة والرسالة والإمامة شيء تجب طاعته على الناس لعدم توفر العصمة من الله تعالى، فأما أن يكون الشخص نبياً أو رسولاً أو إماماً مفترض الطاعة، أو متبعاً لمن فرض الله طاعته من الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام، وما عدا ذلك فهو بدعة والبدعة في النار.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (يا أيها الناس، اتقوا الله ولا تفتوا الناس بما لا تعلمون، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال قولاً آل منه إلى غيره، وقد قال قولاً من وضعه غير موضعه كذب عليه. فقام عبدة وعلقمة والأسود وأناس معهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، فما نضع بما قد خبرنا به في المصحف؟ فقال: يسأل عن ذلك علماء آل محمد عليهم السلام)^(٢).

علماء آل محمد أي الأئمة المعصومين وهم علي عليه السلام وذريته المطهرون من الرجس؛ لأنهم هم ورثة الكتاب وهم أعلم بتفسيره وتأويله من غيرهم.

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد عليهم السلام فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد عليهم السلام، وإنما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء منه فلا يحتمله، فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر)^(٣).

وهذا الحديث صريح بتسمية المعصوم ب (العالم) ويقصد به العالم الذي افترض الله طاعته بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤).

١- الوسائل: ج ١٨ ص ١٦.

٢- الوسائل: ج ١٨ ص ١٤.

٣- الكافي: ج ١ ص ٤٥٥.

٤- النساء: ٥٩.

وسلمان الفارسي (المحمدي) لم ينسب إلى العلماء إلا لأنه مُلئ إيماناً، حيث قال عنه الرسول محمد ﷺ ما معناه: (الإيمان عشر درجات، وقد نال سلمان العاشرة) (١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (... **لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخى رسول الله ﷺ بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، إن علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن أمتحن الله قلبه للإيمان.** فقال: وإنما صار سلمان من العلماء؛ لأنه امرؤ مّن أهل البيت، فلذلك نسبته إلى العلماء) (٢).

وفي هذا الحديث الشريف كفاية لكل طالب حق، وهناك كثير من الأحاديث التي تنص على أن العلماء هم الأئمة المعصومون ﷺ وشيعتهم هم المتعلمون، ويمكن تسميتهم بـ (العلماء) مجازاً أو أنهم علماء غير واجبي الطاعة من الله تعالى؛ لافتقارهم إلى العصمة المانعة عن الخطأ والوهم كما قدمت.

وبعد هذه المقدمة نرجع إلى الحديث الذي بدأنا به هذه الثمرة، والذي يذكر أن العلماء ورثة الأنبياء، ونقرأه قراءة جديدة فنقول:

إنّ هذا الحديث يدل على أنّ العلماء هم الأئمة ﷺ عكس ما فهمه بعض الناس، وذلك لأن الإمام الصادق عليه السلام قال: **(العلماء ورثة الأنبياء وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم ...)**، وإلى هنا يُفهم بأن الأنبياء ورثوا أحاديث أي علماً، وقد ثبت فيما سبق من هذا البحث أن علم كل الأنبياء وموارثهم صار عند الرسول محمد ﷺ ومن ثم إلى الإمام علي عليه السلام فالأئمة من ذريته واحداً بعد الآخر، إلى أن وصل الأمر إلى الإمام المهدي عليه السلام فهو من انتهت إليه موارث الأنبياء والأئمة ﷺ.

ثم أكمل الإمام الصادق عليه السلام حديثه فقال: **(فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً...)**، أي من أخذ أحاديث الأنبياء ﷺ من ورثتهم الأئمة المعصومين لا من غيرهم بدليل تكملة الحديث: **(فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)**، أي لا تأخذوا علم

١- عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: (الإيمان عشر درجات، فالمقداد في الثامنة، وأبو ذر في التاسعة، وسلمان في العاشرة) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣٤١.
٢- الكافي: ج ١ ص ٤٥٥.

الأنبياء وأحاديثهم إلا منا أهل البيت؛ لأننا ورثتهم، وأن في كل جيل منّا أئمة معصومون يحامون عن شريعة سيد المرسلين عليه السلام، ولا تأخذوا من غيرنا؛ لأن الحق لا يصدر إلا منّا.

والدليل على أن الحق يصدر منهم عليهم السلام فقط لا من غيرهم، قول الإمام الباقر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتبة: **(شرقاً وغرباً فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً صحيحاً خرج من عندنا أهل البيت) (١)**.

وقول الإمام الرضا عليه السلام لإبراهيم بن أبي محمود: **(يا ابن محمد، إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فألزم طريقتنا، فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه...)** (٢).

وعن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: **(قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من دان الله بغير سماع ألزمه الله البتة إلى الفناء، ومن دان بسماع من غير الباب الذي فتحه الله لخلقه فهو مشرك، والباب المأمون على وحي الله محمد صلى الله عليه وآله)** (٣).

إذن فأخذ الدين والعلم لا بد أن يكون من باب الذي فتحه الله لخلقه وهم محمد وآل محمد عليهم السلام لا غيرهم، والحديث الذي يقول: **(العلماء ورثة الأنبياء)** يقصد العلماء من عترة محمد صلى الله عليه وآله خاصة **(فمن أخذ بشيء منها أخذ خطأ وافرأ)** أي من أخذ من ورثة الأنبياء وهم الأئمة المعصومين عليهم السلام، أخذ بحظ وافر، لأنهم هم خزان علم الأنبياء ولا يوجد بديل عنهم، وبذلك يكون العلماء غير المعصومين هم المتعلمين من ورثة الأنبياء والتابعين لهم، والحديث الذي هو مدار البحث لا يشملهم، فلا يكونون ورثة للأنبياء عليهم السلام، بل الورثة هم محمد وآل محمد خاصة، والحمد لله الذي شرفنا بولاية محمد وآل محمد عليهم السلام.

وتأمل في قول الإمام عليه السلام: **(فانظروا علمكم هذا عن تأخذونه فإن أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)**، فهنا يؤكد الإمام عليه السلام على ضرورة أن تأخذ الناس العلم عن الأئمة عليهم السلام فقط؛ لأنهم الباب المأمون ولأنهم هم ورثة الأنبياء، فلو كان المقصود من (العلماء) هم العلماء الغير معصومين لأرشدنا الأئمة عليهم السلام لأخذ العلم منهم، فهل يكونون ورثة للأنبياء ولا يجوز أخذ العلم منهم !!!؟

من هم ورثة الأنبياء ٤١

و (عمن تأخذونه) في نهاية الرواية مرتبط ب (فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً) في بداية الرواية، أي إن أخذ تراث رسول الله ﷺ يكون عن طريق الأئمة العدول من أهل البيت ﷺ في كل عصر.

الثمرة الثانية:

قد يعترض البعض ويقول: كيف لا يمكن وصف العلماء بأئمة الأئمة وقد ورد عن الرسول محمد ﷺ أنه قال: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) ^(١)، وفي حديث آخر: (أفضل من أنبياء بني إسرائيل) ^(٢) ؟

ويرد عليه:

إن هذا الاعتراض لا يحتاج إلى مزيد من العناء في رده، فبطلانه ضروري؛ لأنه لا يعقل شرعاً أن يساوى أو يفضل عالم غير معصوم على نبي معصوم كعيسى عليه السلام الذي كان يمشي على الماء، أو موسى كليم الله عليه السلام. فغير المعصوم لا يفضل على المعصوم إطلاقاً، نعم يصح تفضيل معصوم على معصوم كتفضيل الرسل أولي العزم على سائر الرسل، وتفضيل الرسول محمد ﷺ على سائر الأنبياء، وتفضيل الإمام علي عليه السلام على سائر الأنبياء والأوصياء والأئمة عليهم السلام عدا الرسول محمد ﷺ فهو أفضل ما خلق الله على الإطلاق.

وقد تقدم في الثمرة الأولى أن معنى العالم هو الإمام المعصوم، وبيّنت ذلك من خلال روايات أهل البيت عليهم السلام. وقد تعارف عند علمائنا المتقدمين كالشيخ الكليني والصدوق وغيرهم تسمية الإمام المعصوم ب (العالم)، فيقولون في كتبهم: قال العالم وسئل العالم، ويقصدون بذلك الإمام المعصوم لا غير. وإن شئت فراجع كتبهم كالكافي للكليني، ومعاني الأخبار للصدوق (رحمهما الله تعالى).

فيكون المقصود من قول الرسول محمد ﷺ: (علماء أمتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل) هم الأئمة المعصومون من ذرية الرسول محمد ﷺ لا غيرهم من العلماء غير المعصومين.

١- مستدرک الوسائل للنوري: ج ١٧ ص ٣٢٠.

٢- أوائل المقالات للمفيد: ص ١٧٨.

ونحن بذلك لا ننكر فضل علماء الشيعة العاملين المجاهدين كالشيخ الكليني والصدوق والطوسي والمفيد والحر العاملي والإسترآبادي والمجلسي والكركي والسيد الخميني والسيد محمد باقر الصدر والسيد محمد محمد صادق الصدر وغيرهم من العلماء العاملين، فإن هكذا علماء هم الذين دافعوا عن مذهب الحق وبذلوا الغالي والنفيس من أجل الحق وأهل الحق محمد وآل محمد عليهم السلام، ولكن هناك خطوط حمراء يجب أن لا نتجاوزها، فنكون مغالين؛ لأن الإفراط ربما يؤدي إلى الغلو في كثير من الأحيان، فلا يمكن أن نساوي العلماء غير المعصومين بالأئمة المعصومين عليهم السلام، أو نصف العلماء بالصفات التي خص الله تعالى بها الأئمة عليهم السلام فنكون بذلك ممن أشتري رضا المخلوق بسخط الخالق، أعاذنا الله وإياكم من ذلك، وقد ناقشتُ هذه الرواية بالتفصيل في كتاب (الصرخي في الميزان) فمن أراد المزيد فليراجع. والحمد لله أولاً وآخراً.

الثمرة الثالثة:

اعتاد كثير من الناس ومنهم من يدعون العلم الاحتجاج بالتوقيع الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى على يد السفير الثاني محمد بن عثمان العمري عليه السلام، والتوقيع هو: (عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: **أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك .. إلى أن قال: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله، وأما محمد بن عثمان العمري فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقني وكتابه كتابي**)^(١).

فقد فسّر البعض عبارة: (رواة حديثنا) في التوقيع السابق على العلماء غير المعصومين، واستدلوا بذلك على أن طاعتهم واجبة؛ لأن الإمام المهدي عليه السلام قال عنهم: **(فإنهم حجتي عليكم)**.

ويرد عليه بعدة نقاط:

١- إن هذا التوقيع خبر آحاد، فلا يستدل به على قضية عقائدية كقضية النيابة عن المعصوم، هذا حسب قواعدهم في الاستدلال، وإنكم تشتترون في حجية الخبر التواتر أو ما أفاد مرتبته.

٢- ويشترون في الخبر أيضاً أن يكون صحيح السند، وهذا التوقيع ضعيف السند؛ لأن رواية (إسحاق بن يعقوب) مجهول في الرجال، كما نص على ذلك محقق كتاب وسائل الشيعة الشيخ أبي الحسن الشعراني، حيث قال عنه: (مجهول لا نعرفه في الرجال) ^(١).

والخبر الضعيف - حسب قواعدهم - لا يستدل به في الفقه فضلاً عن العقائد، فكيف يمكن لمن يدعي العلم أن يستدل به في مسألة عقائدية كالنيابة عن المعصوم!!!!?

٣- فإن قلت بأن الإمام مدح إسحاق بن يعقوب في نفس التوقيع إذ قال له: (أرشدك الله وثبتك).

فأقول: إن هذا يستلزم الدور لتوقف توثيق إسحاق بن يعقوب على ثبوت هذا التوقيع، وثبوت هذا التوقيع متوقف على وثاقة إسحاق بن يعقوب، فلا بد أولاً إثبات صحة سند هذا التوقيع ثم الأخذ بمضمونه، أو إثبات توثيق إسحاق بن يعقوب من حديث آخر غير هذا التوقيع، فكيف يستدل بحديث لم يثبت صحته سنده، وهذا غير جائز عندكم وقد روي عنهم عليهم السلام: (أزموهم بما أزموا به أنفسهم) ^(٢).

٤- وحتى لو سلمنا بصحة سند التوقيع، فإن المقصود من (رواة حديثنا) في التوقيع الشريف هم النواب في زمن الغيبة الصغرى، وليس علماء زمن الغيبة الكبرى كما يزعم البعض؛ لأن الإمام المهدي عليه السلام عبر عنهم بـ (حجتي عليكم)، والحجة على الناس لا بد أن يكون معصوماً بالنقل، والمعصوم لا يعرفه إلا الله والإمام الحجة عليه السلام، فلا بد أن يكون منصوباً عليه بالمباشرة من الإمام المهدي عليه السلام، والسفراء المنصوص عليهم هم السفراء الأربعة لا علماء الغيبة الكبرى، فلا يمكن إثبات وجوب طاعة علماء الغيبة الكبرى لافتقارهم للعصمة وللتنصيب المباشر من الإمام المهدي عليه السلام بالاسم.

١- وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ١٠١ الهامش.

٢- انظر: تهذيب الأحكام للطوسي: ج ٩ ص ٣٢٢.

فيكون المقصود من (رواة حديثنا) هم السفراء الأربعة لا غيرهم، مع ملاحظة أن هذا التوقيع صدر على يد السفير الثاني محمد بن عثمان العمري الذي استمرت سفارته نحو أربعين سنة، وبعده الحسين بن روح استمرت سفارته نحو واحد وعشرين سنة، ثم علي بن محمد السمرى الذي استمرت سفارته حوالي ثلاث سنوات، فتكون مدة السفارة من محمد بن عثمان - السفير الثاني - إلى نهاية سفارة علي بن محمد السمرى آخر سفير (٦٤) سنة تقريباً، فتكون هذه الفترة هي التي أمر بها الإمام المهدي عليه السلام بالرجوع إلى رواة حديثه؛ لأنهم ينقلون تشريعه في الحوادث الواقعة لا رأيهم الخاص، وبذلك تكون حجة قولهم مستمدة من قول الإمام المهدي عليه السلام لا من قولهم مجرداً عن قول المعصوم عليه السلام، بخلاف علماء الغيبة الكبرى وخصوصاً متأخري المتأخرين والمعاصرين منهم فإنهم لا يعتبرون رواة للحديث؛ لأنهم لا يروون عن الإمام، بل وصلت الأحاديث إليهم في كتب مبوبة ومرتبطة من قبل علمائنا المتقدمين كالشيخ الكليني والصدوق والطوسي (رضوان الله عليهم).

٥- وما ما يؤيد ما تقدم في النقطة الرابعة أن راوي التوقيع إسحاق بن يعقوب عاش قبل انتهاء الغيبة الصغرى بعشرات السنين، والظاهر أنه يسأل عن الحوادث الواقعة أي المستجدة في زمن الغيبة الصغرى من أين يأخذ حكمها، ويدل على ذلك قرينة الحال، وإجابة الإمام المهدي عليه السلام بأن يأخذ حكمها من رواة حديثه في تلك الفترة، حيث قال عليه السلام: **(وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم ...)** والكلام موجه إلى إسحاق بن يعقوب ومن عاصره بكونهم معاصرين للسفراء المنصبين من الإمام مباشرة وهم الوساطة بين الإمام المهدي وبين شيعته، فأمره بأن يأخذ الأحكام الشرعية منهم، فلا يمكن تعدية هذا الكلام وتجريده عن الخصوصية إلى علماء الغيبة الكبرى لعدم وجود القرينة الدالة على ذلك، بل هناك قرينة كلامية متصلة تخصص معنى (رواة الحديث) بالسفراء الأربعة، وهي قول الإمام المهدي في نهاية ذلك التوقيع: **(وأما محمد بن عثمان العمري فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقني وكتابه كتابي)**، وهنا الإمام المهدي عليه السلام أعطى المصداق لرواة الحديث وهم محمد بن عثمان وأبيه عليه السلام، أي السفراء الأربعة بانضمام الحسين بن روح وعلي بن محمد السمرى، ثم قال الإمام عن محمد بن عثمان: **(فإنه ثقني وكتابه كتابي)** وهذا الكلام نظير قوله عليه السلام: **(فإنهم حجتي عليكم)**.

وبالتالي ينتج أن (رواة الحديث) هم السفراء الأربعة لا غيرهم، وفي زمن الأئمة عليهم السلام قبل القائم عليه السلام هم أصحاب الأئمة عليهم السلام ولكن ضمن شروط ليس الآن محل تفصيلها.

٦- ثم حتى لو تنزلنا عن الكلام السابق فنقول: بأن رواية الحديث في التوقيع الشريف يحتمل احتمالاً كبيراً انطباقها على السفراء الأربعة فقط، وكذلك يحتمل انطباقها على علماء الغيبة الكبرى، وبذلك يكون التوقيع متشابهاً وليس محكماً، وكما هو معلوم يشترط في حجية الحديث أن يكون محكماً غير متشابه، أي لا يحتمل أكثر من وجه، وبذلك لا يمكن الاستدلال بهذا التوقيع على وجوب طاعة العلماء في زمن الغيبة الكبرى ويحتاج إلى قرينة متصلة أو منفصلة لإثبات ذلك، ولا قرينة بل القرينة المتصلة تدل على خلاف ذلك، إضافة إلى وجود عدة قرائن منفصلة أيضاً تدل على تخصيص التوقيع بالسفراء الأربعة فقط. وقد فصلت القول في هذا التوقيع في كتاب (الإفحام) فمن أراد المزيد فليراجع.

الثمرّة الرابعة:

وقد يستدل البعض بالرواية الواردة عن الإمام العسكري عليه السلام عن الصادق عليه السلام والتي يقول فيها: (... **فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه** ...) ^(١) على وجوب طاعة العلماء.

ويرد عليه:

إنّ هذه الرواية لا يمكن للأصوليين الاستدلال بها؛ للأسباب التالية:

إنّ هذا الحديث ضعيف ومرسل، وقد ورد في تفسير الحسن العسكري، وهذا التفسير لم يثبت بطريق صحيح أو موثق ولا حتى حسن عند الأصوليين، بل سنده عندهم في غاية الضعف، بل جزم المحقق الخوئي بوضع الكتاب حيث قال: (أقول: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، إنما هو برواية هذا الرجل ^(٢) وزميله يوسف بن محمد بن زياد، وكلاهما مجهول الحال، ولا يعتد برواية أنفسهما عن الإمام عليه السلام، اهتمامه عليه السلام بشأتهما، وطلبه من أبويهما إبقاءهما عنده، لافادتهما العلم الذي يشرفهما الله به. هذا مع أن الناظر في هذا التفسير لا يشك

١- انظر: وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٣١، نقلها الحر العاملي عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام والاحتجاج للطبرسي.

٢- يقصد علي بن محمد بن سيار.

في أنه موضوع، وجل مقام عالم محقق أن يكتب مثل هذا التفسير، فكيف بالإمام عليه السلام^(١).

وقد ذكر محقق كتاب (تفسير العسكري)^(٢) اثني عشر عالماً بين قائل بأن هذا التفسير موضوع مكذوب، وبين نافٍ لحجته، راجع رسالة في نهاية الكتاب (ص ٦٨١ - ٦٨٨) للاحاطة بالتفاصيل.

إضافة إلى ذلك فهو خبر آحاد مؤول بالرواية ونقله الأخبار.

٢- وبغض النظر عن مسألة السند فإن هذه الرواية تدل على قبول نقل الرواية عن الإمام المعصوم لا قبول الرأي، كما صرح بذلك الحر العاملي صاحب كتاب وسائل الشيعة، فمن حملها على قبول الرأي فتكون دلالة الرواية على هذا المعنى ظنية وليس قطعية، ومن المعلوم أنه يشترط في حجية الرواية أن تكون قطعية الدلالة.

٣- إن الرواية ليس فيها نص ولا ظهور في وجوب التقليد بل ظاهرة في التخيير؛ لأن الإمام عليه السلام قال: **(فللعوام أن يقلدوه)**، ولم يقل: (فعلى العوام أن يقلدوه). وبهذا لا تكون طاعتهم واجبة مطلقاً.

٤- إن كثيراً ممن يدعي العلم يستدل بهذا المقطع من الرواية، والرواية طويلة لم ينقلوها بتمامها؛ لأن فيها ذمماً للعلماء غير العاملين، إضافة إلى أن الشروط التي وضعها الإمام لمن يجوز قبول روايته - على نحو التقليد أو المرجعية - وأصحابها كالكبريت الأحمر في الندرة والشروط: صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه. فمن منهم أحرز رضا الإمام المهدي عليه السلام حتى يجوز قبول روايته أو رأيه كما يدعون؟ ونحن نرى بأم أعيننا عداوة العلماء بعضهم للبعض الآخر، حيث وصل الأمر إلى التفسيق والتكفير، بل وصل الأمر للقتل والقتال فيما بين العلماء. فمنّ منهم يجوز تقليده؟ ومنّ لا يجوز تقليده؟ وما الدليل على الطرف المختار؟ فكل يدعي أنه الحق المطلق وغيره ضلال، وأمست الناس في حيرة بين فلان وعلان.

١ - معجم رجال الحديث ج ١٣ - ص ١٥٧، في ترجمة علي بن محمد بن سيار برقم ٧٤٤٢.

٢ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى المحققة، لسنة ١٤٠٩ هـ.

وإلى القارئ الرواية بتمامها مع تعليق الحر العاملي مؤلف كتاب وسائل الشيعة، ليتسنى معرفة الذم الوارد فيها للعلماء غير العاملين.

(أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في (الاحتجاج) عن أبي محمد العسكري عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، قال: "هذه لقوم من اليهود - إلى أن قال: - وقال رجل للصادق عليه السلام: إذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعون من علمائهم فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟ وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم - إلى أن قال: - فقال عليه السلام: بين عوامنا وعوام اليهود فرق من جهة وتسوية من جهة، أما من حيث الاستواء فإن الله ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم، وأما من حيث افترقوا فإن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وأكل الحرام والرشاء وتغيير الأحكام واضطروا بقلوبهم إلى أن من فعل ذلك فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم، وكذلك عوامنا إذا عرفوا من علمائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على الدنيا وحرامها، فمن قلد مثل هؤلاء فهو مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة علمائهم، فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه مخالفا على هواه، مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك، لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره لجهلهم ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلّة معرفتهم، وآخرون يتعمدون الكذب علينا" الحديث). وأورده العسكري عليه السلام في تفسيره.

(أقول: التقليد المرخص فيه هنا إنما هو قبول الرواية لا قبول الرأي والاجتهاد والظن وهذا واضح، وذلك لا خلاف فيه، ولا ينافي ما تقدم وقد وقع التصريح بذلك فيما أوردناه من الحديث وفيما تركناه منه في عدة مواضع، على أن هذا الحديث لا يجوز عند الأصوليين الاعتماد عليه في

الأصول ولا في الفروع، لأنه خبر واحد مرسل، ظني السند والمتن ضعيفاً عندهم، ومعارضه متواتر، قطعي السند والدلالة، ومع ذلك يحتمل الحمل على التقية^(١).

الثمرة الخامسة:

وربما يستدل البعض على أن العلماء هم ورثة الأنبياء وطاعتهم واجبة بالحديث المروي عن النبي محمد ﷺ: (الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل: يا رسول الله، وما دخولهم في الدنيا؟ قال: إتياع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم)^(٢).

ويرد عليه بعدة نقاط:

١- إن الرواية ليست نصاً في وجوب طاعة العلماء ولا ظاهرة في ذلك، وغاية ما تدل عليه أن الفقهاء الأمناء العاملين هم أمناء على ما وصل إليهم من أحاديث وأحكام الشريعة. ومطلق الأمين ليس بالضرورة أن يكون واجب الطاعة، وإنما الطاعة للأمين المطلق وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام الذين هم ورثوا كل موارث الأنبياء عليهم السلام.

فقد ائتمن الله تعالى بلعم بن باعوراء عالم بني إسرائيل على بعض آياته، وفي بعض الروايات على الاسم الأعظم أو جزء منه، ولكنه لم يُوجب طاعته على الناس، وكان عاقبة أمره أنه خان الأمانة وأتبع فرعون (لعنه الله) وحارب نبي الله موسى عليه السلام، وقد ذمّه الله تعالى في كتابه إذ قال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿٦٨﴾﴾^(٣).

وكذلك علماء بني إسرائيل ائتمنهم الله تعالى على شريعة موسى عليه السلام ولكنهم خانوا الأمانة واتبعوا الملوك بيلاطس وهيرودس، وحاربوا نبي الله عيسى عليه السلام وكذبوا رسالته، وقد ذمهم الله في

١- وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٣١ - ١٣٢.
٢- الكافي: ج ١ ص ٦٦.
٣- الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧.

كتابه الكريم إذ قال عنهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فبئس المقام مقام العلماء غير العاملين الخائنين لأمانتهم حيث وصفهم الله تعالى بالكلاب والحمير وهذا هو الخسران المبين.

٢- إن أكثر الذين يذكرون هذه الرواية يذكرون المقطع الأول منها فقط (الفقهاء أمناء الرسل) ويبترون الرواية؛ لأن في تكملة الرواية فضيحة لعلماء آخر الزمان الذين اتبعوا السلطان وهادنوا أمريكا وعملاءها، ورضوا بتنصيب الناس، وحكموا بغير كتاب الله تعالى، حيث أوجبوا على الناس قبول دستور وضعي وضعه الغرب الكافر وأذنا به بعقولهم الناقصة المنحرفة!!

وتكملة الرواية هي: (ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل: يا رسول الله، وما دخولهم في الدنيا؟ قال: **إتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على أديانكم**).

وفي هذه التكملة للرواية تحذير من رسول الله ﷺ بالاجتناب عن الفقهاء الذين اتبعوا السلطان، وعدم قبول أي شيء منهم؛ لأنهم خونة قد خانوا الأمانة ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ديمقراطية أمريكا وتركوا الفكر الإسلامي المتمثل بالإمام المهدي عليه السلام والقرآن الكريم، وهما الثقلان اللذان أوصى بهما النبي محمد ﷺ وأكد على أن المتمسك بهما لن يضل أبداً. وذلك ما فعله كل علماء آخر الزمان إلا كالكبريت الأحمر الذي لا يصغى إلى قولهم وخصوصاً في العراق.

وهذه الخيانة قد أخبر بها الرسول محمد ﷺ قبل أكثر من ألف سنة، حيث قال في وصف علماء آخر الزمان في حديث طويل؛ وهو حديث المعراج: (... **قلت: إلهي فمتى يكون ذلك** (أي قيام القائم عليه السلام)، فأوحى إليّ **عنه**: ذلك إذا رفع العلم، وظهر الجهل، وكثر القراء، وقل العمل، وكثر الفتك، وقل الفقهاء الهادون، وكثر فقهاء الضلالة الخونة)^(٢).

ووصفهم بالخونة؛ لأنهم خانوا الأمانة، واشتروا رضا الناس بسخط الخالق، وأوجبوا طاعة الناس، وجوّزوا معصية الخالق، حيث جعلوا الحاكم في البلاد هو الفكر الديمقراطي الذي يعتمد على آراء الناس، والله تعالى يقول:

﴿لَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١).

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٢).

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٣).

وأيضاً وصفهم عليهم السلام في حديث آخر فقال: (سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه، يسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود)^(٤).

٣- يستفاد من كثير من الروايات أن قول الرسول محمد صلى الله عليه وآله: (الفقهاء أمناء الرسل...) خاصة بالصحابة المخلصين الذين عاصروا الأنبياء والأئمة عليهم السلام وتحملوا أحاديثهم مباشرة وصانوا الأمانة واجتنبوا الخيانة، وهؤلاء هم الذين وصفهم الأئمة عليهم السلام بأن الراد عليهم كالراد على الأئمة عليهم السلام؛ لأنهم إنما يبلغون ما سمعوه من الأئمة عليهم السلام، فمن ردهم فقد رد كلام الأئمة عليهم السلام فيعتبر راداً عليهم عليهم السلام.

ومن الأحاديث التي تنص على أن أصحاب الأئمة عليهم السلام المخلصين هم أمناء الله تعالى وأمناء الأئمة عليهم السلام، الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: عن جميل بن دراج، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (بشر المخبتين بالجنة: بريد بن معاوية العجلي، وأبو بصير ليث ابن

١- المؤمنون: ٧١.
٢- المؤمنون: ٧٠.
٣- الأنعام: ١١٦.
٤- الكافي: ج ٨ ص ٤٧٩.

البخري المرادي، ومحمد بن مسلم، وزرارة، أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست^(١).

وعن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي عليه السلام إلا زرارة، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي عليه السلام على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا، والسابقون إلينا في الآخرة)^(٢).

وعن علي ابن المسيب الهمداني، قال: (قلت للرضا عليه السلام: شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ قال: من زكريا ابن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا)^(٣).

فإن قيل: لا فرق بين أصحاب الأئمة عليهم السلام وبين العلماء فكلاهما أمناء على علم الأئمة عليهم السلام.

أقول: إن هذا قياس مع الفارق؛ لأن أصحاب الأئمة عليهم السلام بمثابة نواب خاصين عن الأئمة عليهم السلام، وهم سمعوا أحاديث المعصومين بالمباشرة لا بالواسطة، وأصحاب الأئمة عليهم السلام قد علمنا أمانتهم وعدم خيانتهم من الأئمة عليهم السلام، بخلاف الذين لم يعاصروا الأئمة عليهم السلام فحالهم مجهول لدينا إلا الأندر.

نعم، قد وصل بعض علماء الغيبة الكبرى إلى هذه المنزلة بمرتبة من المراتب، كالسيد الخميني والشهيد محمد باقر الصدر والشهيد محمد محمد صادق الصدر (رحمهم الله تعالى)، ولكن ليت شعري هل عرفتهم الأمة وصدقتهم أم كذبتهم وحاربتهم؟

فقد كذبوا وحوربوا وأستهزئ بهم، وخصوصاً من قبل علماء السوء المترفين وأتباعهم، فهؤلاء وأمثالهم من فلتات التاريخ، وكالكبريت الأحمر، ولا يبعث أحدهم إلا واجهته الأمة بالتكذيب والافتراء وهي سنة الله تعالى.

١- وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ١٠٣.
٢- وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ١٠٤.
٣- وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ١٠٦.

قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

فإذا مات أو قتل هؤلاء العظماء لطمت عليهم الأمة الصدور وناحت عليهم، كما فعلت ذلك الأمم السابقة التي حاربت أنبياءها في حياتهم ثم بكّت عليهم بعد مماتهم. فأمناء الله تعالى وأمناء الرسل مجهولون في الأرض معروفون في السماء، لا يعرفهم إلاّ الأولياء الذين ينظرون بنور الله تعالى.

وأكثر هؤلاء الذين وصلوا إلى منزلة (أمناء الرسل) بمرتبة من المراتب قد تشرفوا بتسديد الإمام المهدي عليه السلام في أكثر أفعالهم، بل بعضهم تشرف بلقاء الإمام المهدي عليه السلام سواء بالمنام أم باليقظة، كالسيد الشهيد محمد صادق الصدر (رحمه الله) كما نُقل إلينا من بعض ثقاته.

ثم إننا لا يمكن أن نجزم بوصول أحد إلى تلك المرتبة بدون شهادة المعصوم وتزكّيته، أو بصفات وأفعال توجب القطع بذلك وهي نادرة إن لم تكن معدومة.

والنتيجة: أن أمناء الرسل من أصحاب الأئمة أو من سار على نهجهم حذو النعل بالنعل، فالأمة مأمورة أن تأخذ ما ينقلوه من أحاديث الأئمة عليهم السلام لا الرأي والاجتهاد كما يدعي البعض، وهذا المعنى واضح في كلام الهشام بن الحكم حيث قال: (اللهم ما عملت من خير مفترض وغير مفترض فجميعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الصادقين، فتقبل ذلك مني وعنهم)^(٢).

وعن أحمد بن إبراهيم المراغي، قال: ورد عن القاسم بن العلا - وذكر توقيفاً شريفاً يقول فيه -: **(فأنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرنا ونحملهم إياه إليهم)**^(٣).

فجعل الإمام عليه السلام علة منع التشكيك فيما ينقله الثقات؛ لأنهم قد تشرفوا بمفاوضة الأئمة عليهم السلام بالمباشرة وأطلعوهم على الأسرار وكلفوهم بتبليغها إلى شيعتهم، فإذا وجد من لم يتشرف بمفاوضة الأئمة عليهم السلام بالمباشرة وتكليفه بالتبليغ جاز التشكيك في قوله ولم يجب تصديقه وطاعته.

وهذا التوقيع يفسر التوقيع الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام والقائل: **(وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم ...)** أي السفراء الأربعة الذين كان

١- يس: ٣٠.

٢- وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ١٠٨.

٣- وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ١٠٩.

يفاضهم الإمام المهدي عليه السلام ويطلعهم على سره ويكلفهم بتبليغ شيعته الحلال والحرام، وهؤلاء هم الذين لا عذر لأحد في التشكيك فيما يروونه عن الإمام عليه السلام، لا الذين يفتقرون إلى هذه الصفة.

وبعد كل هذا اتضح أن قول الرسول ﷺ: (الفقهاء أمناء الرسل...) لا يستدل به على وجوب طاعة العلماء، إلا العلماء الذين نصبهم الإمام عليه السلام بالمباشرة، ولأنها ليس فيها نص ولا ظهور على هذا المعنى.

الثمره السادسة:

واحتجج البعض جهلاً أو غفلة بالحديث المروي عن طريق أبناء العامة عن رسول الله ﷺ.
عن عمرو بن العاص وأبي هريرة، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) ^(١).

إذ قالوا المجتهد مأجور سواء أصاب أم أخطأ، فطاعته واجبة على كل حال.

ويرد عليه:

١- إن هذا الحديث لا يمكن للشيعه ولا لأبناء العامة الأخذ به، فبالنسبة للشيعه فالأنه منقول عن طريق أبناء العامة فقط، وهكذا حديث لا يمكن الأخذ به لضعفه - حسب قواعدهم -، ولأنه مروي عن طريق عمرو بن العاص وأبي هريرة، وكلاهما مذمومان أشد الذم عند الشيعه، وخصوصاً عمرو بن العاص العدو للذود للإمام علي عليه السلام، ولأنه موافق لآراء أبناء العامة ومخالف لما ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام كما سيأتي. وقد روي عن العترة الطاهرة روايات متواترة تنهى عن الأخذ بما وافق أبناء العامة عند تجرده عن القرآن والسنة الصحيحة، فعن الإمام الصادق عليه السلام في خبر طويل قال: (... ما خالف العامة ففبه الرشاد ...) ^(٢).

وأما أبناء العامة فأيضاً لا يمكنهم الاعتماد على هذا الحديث؛ لوجود مناقشة في رواته، ولأنه مخالف للقرآن والسنة الصحيحة عن الرسول محمد ﷺ وأصحابه البررة، فقد وردت آيات عديدة

١- صحيح البخاري: ج ٨ ص ١٥٧، صحيح مسلم: ج ٥ ص ١٣١.

٢- الكافي: ج ١ ص ٨٧ - ٨٩.

وروايات تنص على أن حكم الله واحد ولا يمكن أن يتعدد، ومن حكم بالخطأ كيف يكون له أجر؟! والكلام طويل ليس هنا محله.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

٢- إضافة إلى أن هذا الحديث منقول عن طريق أبناء العامة ورواته مذمومون أشد الذم وقد وضعوا الكثير من الأحاديث الكاذبة على رسول الله ﷺ، فهو مخالف لما ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، وإليك أيها القارئ بعض الروايات المعارضة لهذا الحديث:

عن أبي بصير، قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها؟ قال عليه السلام: لا، أما أنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله ﷻ)^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل في ذم أصحاب الرأي قال: (... حتى إذا ارتوى من آجن وأكتر من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، وإن خالف قاضياً سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هياً لها حشواً من رأيه ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكر، ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً...) ^(٣).

وعن محمد بن حكيم، قال: (قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: جعلت فداك، فقهننا في الدين وأغنانا الله بكم عن الناس حتى أن الجماعة منا لتكون في المجلس، ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما من الله علينا بكم، وربما ورد علينا الشيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شيء فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوقف الأشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به؟ فقال: هيهات هيهات، في ذلك والله هلك من هلك يا بن حكيم، قال: ثم قال: لعن الله أبا حنيفة كان يقول: قال علي وقلت) ^(٤).

١- المائدة: ٤٧.

٢- الكافي: ج ١ ص ٧٧.

٣- الكافي: ج ١ ص ٧٥ - ٧٦.

٤- الكافي: ج ١ ص ٧٧.

وعن يونس بن عبد الرحمن، قال: (قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: بما أوحى الله؟ فقال: يا يونس، لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيّه ضل، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر) ^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (من شك أو ظن فأقام على أحدهما فقد حبط عمله، إن حجة الله هي الحجة الواضحة) ^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (لو حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا، ولكننا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه عليه السلام فبينها لنا) ^(٣).

وفي هذا الحديث عبرة لمن اعتبر، إذ أن الإمام الصادق عليه السلام رغم كونه إماماً معصوماً لا يجوز له القول برأيه، فكيف يجوز لغيره ذلك ممن لا يملك العصمة، وربما خطأه أكثر من إصابته!!؟ وبعد سماع هذه الروايات التي تنهى عن القول بالرأي وغيرها العشرات، إضافة إلى الآيات القرآنية الناهية عن ذلك أيضاً، فلا يمكن لأحد الأخذ بالحديث الوارد عن عمرو بن العاص والذي يثبت الأجر للحاكم وإن أخطأ، والحق خلاف ذلك بل أن من حكم برأيه ليس له أجر وإن أصاب.

٣- إن هذا الحديث له دواعي كثيرة دفعت عمرًا بن العاص وأبا هريرة لوضعه، منها لتصحيح خلافة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان (لعنه الله)؛ لأنهما خالفا كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام واغتصبا الخلافة من صاحبها الحق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فعندما يخطأ معاوية فيقول اجتهدت فأخطأت، والحاكم إذا اجتهد فأخطأ فله أجر!!؟ ليقنعوا عامة الناس بأنهم أئمة حق وطاعتهم واجبة سواء أخطأوا أم أصابوا.

وعلى ضوء هذا الحديث يكون يزيد مأجوراً بقتل الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنه اجتهد فأخطأ في قتل الإمام الحسين عليه السلام فله أجر واحد!!!

١- وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٢٤.
٢- الوسائل: ج ١٨ ص ٢٦.
٣- بصائر الدرجات: ص ٣١٩.

وهذا الكلام لا يقوله إلا من فقد عقله وأصبح تائهاً في غابة إبليس وجنده، فهو منكوس يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين.

الثمرة السابعة:

وأيضاً قد استدلل البعض على وجوب طاعة العلماء غير المعصومين بالرواية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وهي عن الصادق عليه السلام: (... فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين^(١)،

وقالوا بأن هؤلاء العدول هم العلماء فيجب طاعتهم.

ويرد على هذا الكلام بعدة نقاط:

١- إن هذه الرواية هي نهاية الرواية التي صرحت بأن العلماء ورثة الأنبياء، وقد ناقشت هذه الرواية في الثمرة الأولى من هذا الكتاب، وقد أثبت أنها خاصة بورثة الأنبياء، وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام، ولا تخص العلماء غير العاملين لا من قريب ولا من بعيد، وما أثبتته في الفائدة الأولى يثبت على هذا المقطع من الرواية.

٢- إن هذه الرواية مقيدة أو مخصصة بروايات أخرى عن أهل البيت عليهم السلام تنص على أن هؤلاء العدول الذين ينفون عن الدين التحريف ... هم الأئمة خاصة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام.

فعن الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (... واختار من الحسين الأوصياء وهم تسعة من ولده، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين^(٢)).

١- الكافي: ج ١ ص ٤٩.
٢- المعتبر - المحقق الحلي: ج ١ ص ٢٤.

وفي كمال الدين، عن النبي ﷺ: (في كل خلف من أمتي عدل من أهل بيتي، ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وإن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من تأخذون في دينكم وصلاتكم) ^(١).

وهاتان الروايتان خاصتان، والرواية الأولى عامة - إن سلّمنا - ومن المعلوم عند تعارض العام والخاص يقدم الخاص ويكون حاكماً على العام، فتقدم الروايات التي تنص على أن الأئمة هم العدول الذين ينفون عن هذا الدين التحريف.

وحتى الرواية الأولى ليست عامة؛ لأن الإمام الصادق عليه السلام قال: (فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً)، وأهل البيت هم الأئمة المعصومون لا غيرهم، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ^(٢)، وهذه الآية خاصة بالعترة الطاهرة المعصومة.

نعم، قد وصل بعض أصحاب الرسول محمد ﷺ وأصحاب الأئمة إلى هذه المرتبة، كسلمان الفارسي عليه السلام الذي قال عنه الرسول محمد ﷺ: (سلمان منا أهل البيت) ^(٣)، أو كأبي بصير ونظرائه الذين قال عنهم الإمام الصادق عليه السلام في حديث: (... هم نجوم شعيتي أحياء وأمواتاً، هم الذين أحيوا ذكر أبي علي عليه السلام، بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل الغالين، ثم بكى، فقلت: من هم؟ فقال: من عليهم صلوات الله وعليهم رحمته أحياء وأمواتاً، بريد العجلي، وأبو بصير، وزرارة، ومحمد بن مسلم) ^(٤).

وهؤلاء لا يمكن مساواتهم بعلماء الغيبة الكبرى الذين لم يعاصروا الأئمة عليهم السلام من عدة نواح، منها: أنهم تربية الأئمة عليهم السلام بالمباشرة وقد اقتبسوا علمهم وأخلاقهم بالمعاشرة، ومنها: أنهم يعتبرون نواباً خاصين للأئمة عليهم السلام أو مأذونين عن الأئمة بالمباشرة في الدفاع عن الدين ونشر حديث أهل البيت عليهم السلام. ومن البديهي أن من يمتلك الإذن الخاص بالمباشرة من الإمام المعصوم يختلف عن من لا يملك ذلك الإذن، ومنها: أن هؤلاء عبارة عن وسائط لنقل حديث المعصوم ولا

١- كمال الدين: ص ٢٢١، وسائل الشيعة: ج ٥ ص ٤١٦، الفصول المختارة - للمفيد: ص ٣٢٥، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٣٠، قرب الإسناد - للحميري القمي: ص ٧٧.

٢- الأحزاب: ٣٣.

٣- بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١٢٣.

٤- الوسائل: ج ١٨ ص ١٠٥.

يفتون بأرائهم، وغيرها من الفوارق. فقياس علماء الغيبة الكبرى مع هؤلاء يعتبر قياساً مع الفارق وهو باطل حسب استدلالكم.

وحتى لو قلنا بإمكان وجود نوادر من أمثال هؤلاء في عصر الغيبة الكبرى، فهم كالعادة مُحَارِبُونَ ومجهولون، بل وصل الحال إلى تفسيقهم وتكفيرهم من قبل علماء السوء المترفين. ولا تتعرف الناس على حقيقة هؤلاء الأولياء إلا من بعد مآثمهم أو استشهادهم، كما عاصرنا ذلك ورأينا كيف وقف علماء الضلالة بوجه السيد الخميني والسيد الشهيد محمد باقر الصدر والسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (رحمهم الله تعالى)، وهذه حقيقة لا ينكرها إلا مكابر، وما أكثرهم في هذا الزمان، ولكن يبقى أمر مهم وهو أن هؤلاء العلماء الصالحين يفتقرون إلى نص خاص من المعصوم للقول بوجوب طاعتهم ولا يوجد نص يدل على ذلك.

٣- إننا قد رأينا - وخصوصاً في هذا الزمان - أكثر العلماء وافقوا ديمقراطية الغرب الكافر إن لم نقل كلهم، وقالوا بوجوب اختيار الناس، وأقروا القانون الوضعي وتركوا القرآن الكريم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١)، وكل هذا مخالف لسيرة أهل البيت عليهم السلام. وبذلك يكونون هم الذين يحرفون الدين، وهم الذين يجربون شريعة سيد المرسلين عليه السلام، وليس عدولاً ينفون عن الدين التحريف.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٢).

٤- وحتى لو تنزلنا جدلاً عن الكلام السابق فيعتبر هذا الحديث من المتشابهات؛ لأن له أكثر من وجه، ومن المعلوم أن المتشابه لا يمكن الاستدلال به إلا إذا حُفَّ بقرينة ولا قرينة عليه، بل القرائن المتصلة والمنفصلة عكس مرادكم كما بيّنت ذلك وعن طريق كلام العترة الطاهرة والعين الصافية.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^(٣).

وتوجد نقوض أخرى على استدلال القوم أعرضت عن ذكرها مراعاة للاختصار.

١- المائدة: ٤٤.

٢- يونس: ٣٥.

٣- الملك: ٣٠.

الثمرة الثامنة:

الرد على بعض آراء الشيخ محمد يعقوبي:

أولاً:

قال الشيخ محمد يعقوبي في خطاب المرحلة رقم (٥١) الصادر بتاريخ ٢٧ / صفر / ١٤٢٥ هـ ق الموافق ١٨ / ٤ / ٢٠٠٤: (... وقد أمر الأئمة عليهم السلام شيعتهم ألا يُعلموا العلماء بل يتعلموا منهم ويتبعوهم في كل القضايا سواء التي تم الفرد كالوضوء والصلاة والصوم، أو التي تم الأمة كالقضايا المصرية التي تتطلب موقفاً موحداً من المرجعية والعلماء).

ويرد عليه:

١- لقد راجعت أمهات الكتب فلم أعثر على حديث واحد فيه أمر من الأئمة عليهم السلام بعدم تعليم العلماء وأتباعهم بكل شيء، فلا أدري كيف نسب الشيخ يعقوبي ذلك إلى الأئمة عليهم السلام وعلى أي شيء أستند؟

نعم، وردت روايات تخص ذلك بالأئمة المعصومين عليهم السلام، كقول أمير المؤمنين عليه السلام رواية عن رسول الله ﷺ: (إني وأهل بيتي مطهرون فلا تسبقوهم فتضلوا، ولا تخلفوا عنهم فتزلوا، ولا تخالفوهم فتجهلوا، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم، هم أعلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً...) (١).

وهذا خاص بالأئمة المعصومين عليهم السلام لا يتعدى إلى غيرهم إلا إذا وصل الإنسان إلى مرتبة العصمة فيكون من أهل البيت عليهم السلام كسلمان الفارسي (المحمدي) عليه السلام.

فهل أن الشيخ يعقوبي يعتبر نفسه معصوماً ومن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً حتى يتقمص صفاتهم؟! هيهات، فهم عليهم السلام الثريا عن أيدي المتناولين، وهم اللذين ينحدر عنهم السيل ولا يرقى إليهم الطير، ورحم الله امرءاً عرف حده فوقه عنده، والفتوى بغير علم من أشد الموبقات وصاحبها تلعه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب كما ورد عنهم عليهم السلام.

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (من أفتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه) ^(١).

٢- كذلك لم أجد رواية تنص على وجوب طاعة غير المعصوم سواء كان عالماً أو جاهلاً، فمن أين جاء الشيخ يعقوبي بهذا القول ونسبه للأئمة المعصومين عليهم السلام، بل أن الأئمة عليهم السلام قد بينوا في رواياتهم أن لا طاعة إلا للمعصوم، وكذلك قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ^(٢).

وقد بينت هذا الموضوع في الجهة الأولى من هذا البحث فمن شاء فليراجع.

بل أن الرسول محمداً عليه السلام والعترة الطاهرة عليهم السلام قد حذروا من اتباع زلات العلماء، وحذروا من العلماء الذين يتبعون آراءهم وأهواءهم، وخصوصاً علماء آخر الزمان.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله عليه السلام: سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه، يسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود) ^(٣).

وعن الباقر عليه السلام، قال: (يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون يتقرؤون ويتنسكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون زلات العلماء وفساد علمهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلمهم في نفس ولا مال، ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أتم الفرائض وأشرفها، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض....) ^(٤).

وعن الرسول محمد عليه السلام: (إنما أتخوف على أمتي من بعدي ثلاث خصال: أن يتأولوا القرآن على غير تأويله، أو يتبعوا زلة العالم، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا وييطروا،

١- الكافي: ج ١ ص ٦١.

٢- البقرة: ١٢٤.

٣- الكافي: ج ٨ ص ٤٧٩.

٤- مختلف الشيعة - للعلامة الحلي: ج ٤ ص ٤٦٢، التهذيب: ج ٦ ص ١٨٠.

من هم ورثة الأنبياء من هم ورثة الأنبياء ٦١

وسأنبئكم المخرج من ذلك: أما القرآن فأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، وأما العالم فانظروا فيئته ولا تتبعوا زلته ... الحديث (١).

وأيضاً عن النبي ﷺ: (أخوف ما أخاف على أمتي: زلات العلماء، وميل الحكماء، وسوء التأويل) (٢).

وقال سلمان الفارسي عليه السلام: (إني أخشى عليكم ثلاثاً: زلة العالم، وجدال المنافق، ودنيا مطغية) (٣).

وعن الإمام علي عليه السلام: (زلة العالم كانكسار السفينة تفرق وتفرك) (٤).

وعنه عليه السلام: (زلة العالم تفسد العوالم)، و (لا زلة أشد من زلة العالم)، و (زلة العالم كبيرة الجناية) (٥).

وعن النبي ﷺ: (احذروا زلة العالم، فإن زلته تكبكه في النار). و (ويل لأمتي من علماء السوء) (٦).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (ملعون ملعون عالم يؤم سلطاناً جائراً معيناً له على جوره) (٧).
جوره) (٧).

وقد تحقق ما أخبر به النبي محمد ﷺ، وجاء آخر الزمان واتبعت الناس زلات العلماء في مخالفة القرآن والسنة، وفي الحكم بغير كتاب الله تعالى، واتباع السلطان؛ أميركا وعملائها واتباعها. فهل يريد منا الشيخ يعقوبي أن نخالف كلام الرسول محمد ﷺ وآل بيته عليه السلام ونأخذ بكلامه في وجوب طاعة العلماء في كل شيء؟! فما هذا إلا استغفال واستحمار للناس وجعلهم مقلدين عميان لا يبصرون، كالأنعام بل أضل سبيلاً. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١- الخصال: ص ١٦٥.

٢- ميزان الحكمة: ج ١ ص ١١١.

٣- الاختصاص - للمفيد: ص ٣٣٥.

٤- بحار الأنوار: ج ٢ ص ٥٨.

٥- ميزان الحكمة: ج ٣ ص ٢٠٩٩ - ٢١٠٠.

٦- ميزان الحكمة: ج ٣ ص ٢٠٠١.

٧- ميزان الحكمة: ج ٣ ص ٢١٠١.

٣- ثم إنك كيف تريد من الناس أن تطيعك وقد خالفت كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام وعترته الطاهرة، فقد أوجبت على الناس الانتخابات واعتبرتها أفضل من الصلاة والصوم، والقرآن والسنة يهتفان بأن التنصيب لله وحده، ولا يمكن ولا يجوز للناس أن تختار من يسوس البلاد والعباد.

قال تعالى: ﴿لَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٥).

فهذا مبدأ الأغلبية الذي تعتمد عليه الانتخابات مذموم أشد الذم في القرآن والسنة المطهرة، وأيضاً أرشدت الناس إلى التصويت لدستور وضعي مخالف للقرآن والسنة المطهرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٧).

وعن الأئمة عليهم السلام: (الحكم حكمان: حكم الله، وحكم أهل الجاهلية. فمن أخطأ حكم الله حكم بأهل الجاهلية)^(٨).

إلى غيرها العشرات من الآيات والروايات التي تمنع من الحكم بالأنظمة الوضعية، بل هذا من ضروريات الدين والمذهب، فكيف جعلته وراء ظهره واتبع مبررات لا تستدل بها ريات

١- المؤمنون: ٧١.

٢- المؤمنون: ٧٠.

٣- الأنعام: ١١٦.

٤- سبأ: ١٣.

٥- هود: ٤٠.

٦- المائدة: ٤٤.

٧- الأنعام: ٥٧، يوسف: ٤٠، يوسف: ٦٧.

٨- الكافي: ج ٧ ص ٤٠٧ ح ١.

الحجال، قال تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقد أسهبت في الرد على الكثير من آرائك في هذا المجال في كتاب (ملحمة الفكر الإسلامي والفكر الديمقراطي) وطلبت منك الرد على هذا الكتاب، ومرّت أشهر وأشهر ولا رد ولا جواب ولا .. ولا ..

فهذا مجال علمي ولا يكلفك إلاّ القرطاس والقلم وما أكثرهما، وليس جهاداً مسلحاً حتى تتظاهر بالهدوء والسكينة والحفاظ على الدماء، كما سطرّت ذلك في كتاباتك، فأما أن ترد وإلاّ فأنت مهزوم.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

وأخيراً أقول لك ما ورد عن الأئمة عليهم السلام ما معناه: (الطاعة لمن أطاع الله ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، وطاعة غير المعصوم تستلزم الطاعة في المعصية؛ لأنه لا يؤمن من الانحراف والخطأ، فينتج أنه لا طاعة إلاّ للمعصومين وهم محمد وآله الطاهرين الأئمة والمهديين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ثانياً:

وقد استدل الشيخ يعقوبي ببعض ما ورد عن العترة الطاهرة على وجوب طاعة العلماء، في بيانه الصادر بتاريخ: ٢٧ / جمادي الأولى / ١٤٢٥ هـ ق الموافق: ١٥ / ٧ / ٢٠٠٤ م، والذي عنوانه: (العمل السياسي من الواجبات الشرعية) إذ قال في ذلك البيان: (... وهنا علينا أن نلتفت إلى نقاط:

١- إن العمل السياسي بالشكل المتقدم - أعني تشكيل الأحزاب والمنظمات ونحوها - لا يعني التخلي عن الخيار المرجعي في قيادة الأمة؛ لأنه النظام الأكمل والأقدر على تصحيح مسار الأمة وفق النهج الإلهي، وقد خطط أهل البيت عليهم السلام ووضعوا له أسسه وقواعده.

١- البقرة: ١٠١.

٢- البقرة: ١١١، النمل: ٦٤.

روي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله: (مجاري الأمور والأحكام بيد العلماء بالله الأمانة على حاله وحرامه).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه) (...).

ويرد عليه:

١- إنّ الرواية التي تتضمن قول الإمام الحسين عليه السلام: (مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله ...) ^(١) ضعيفة السند، فلا تصح للاستدلال في الفقه فضلاً عن العقائد - هذا حسب قواعدكم -، وقد نص على ذلك السيد محمد سعيد الحكيم في كتاب مصباح المنهاج قائلاً: (مع ضعف سنده جداً حيث حكي عن عوالي آلآلي روايته مراسلاً في ضمن حديث طويل لا يخلو متنه عن ضعف واضطراب: أنه لا يخلو عن إجمال، وقد يظهر منه إرادة الأئمة عليهم السلام حيث أنه بعد أن تضمن النكير على الناس في تسامحهم في الدين وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ولاسيما مع التعبير فيه بالعلماء بالله لا بالدين) ^(٢).

٢- المقصود من هذا الحديث: (مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله ..) هم الأئمة عليهم السلام خاصة، فهم العلماء بالله، وهم الذين أوجب الله طاعتهم على العباد، وخصوصاً مع ملاحظة الروايات التي تنص على هذا المعنى والتي تعتبر مخصصة ومقيدة لهذه الرواية وتخصها بالأئمة المعصومين عليهم السلام؛ لأنه لا طاعة لغير المعصوم، وهذا واضح وبين لمن تدبر الروايات التي سبق ذكرها في هذا البحث.

وقد أشار إلى هذا المعنى السيد محمد سعيد الحكيم كما مر في النقطة السابقة، وكذلك نص على هذا المعنى المحقق الخوئي في مصباح الفقاهة قائلاً: (مجاري الأمور في يد العلماء بالله، فإن العلماء بالله ليس غير الأئمة عليهم السلام بل غيرهم العلماء بالحلال والحرام من الطرق الظاهرية) ^(٣).

وأيضاً أشار إلى ذلك الخوانساري في تقرير بحث النائيني، فقال: (مجاري الأمور بيد العلماء، وقوله: (العلماء ورثة الأنبياء) ونحو ذلك من الأخبار الواردة في علو شأن العالم، فمن المحتمل قريباً

١- بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٨٠.

٢- مصباح المنهاج: ص ٢٠٢.

٣- مصباح الفقاهة: ج ٣ ص ٢٨٩.

كون العلماء فيها هم الأئمة عليهم السلام كما في الخبر المعروف: (مداد العلماء كدماء الشهداء) ولا سيما الخبر الأول الدال بإطلاقه على الولاية العامة، فإن فيه قرائن تدل على أن المراد من العلماء فيه: هم الأئمة عليهم السلام فإنهم هم الأمناء على حلال الله وحرامه ..^(١).

ولو تنزلنا عن كل شيء، نقول: إن هذه الرواية تعتبر من المتشابهات التي لها أكثر من وجه، فلا يمكن الاستدلال بها إلاّ بعد إحكامها، وإحكامها ينتج عكس مرادكم لوجود عشرات الأخبار المخصصة أو المقيدة لهذه الرواية بالأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد تقدم نقلها فلا نعيد.

وسأذكر بعض الرواية ثم أضيف بعض آراء العلماء في تأويلها:

عن الإمام الحسين أو أمير المؤمنين عليه السلام: (... يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلبها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر، أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله، وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون فاستخفتم بحق الأئمة، فأما حق الضعفاء فضيعتم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتهم، فلا مال بذلتموه، ولا نفساً خاطرتهم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله ... وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفرعون (تغضبون)، وأنتم لبعض ذم آباءكم تفرعون (تغضبون) وذمة رسول الله وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسمعون (تعون). ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلاّ بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتكم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع. ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات، ويسيروا في الشهوات ... فالله الحاكم فيما تنازعنا، والقاضي لحكمه فيما شجر بيننا. اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً في فضول الحطام، ولكن لنري معالم دينك، ونظهر الإصلاح في

بلادك، ... فإنكم إلا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم
 .. (١).

وعلق عليها الآخوند الخراساني في حاشيته على المكاسب قائلاً: (... وأما كون مجاري الأمور بيد العلماء. وإن كانت عبارة أخرى عن ولايتهم، إلا أن الظاهر من (العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه) هو خصوص الأئمة عليهم السلام، كما يشهد به سائر فقراته التي سيقت في مقام توبيخ الناس على تفرقهم عنهم عليهم السلام حيث أنه صار سبباً لغضب الخلافة وزوالها عن أيدي من كانت مجاري الأمور بأيديهم، والخبر طويل رواه مرسلًا عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام في تحف العقول، فلاحظ تمامه ...) (٢).

وقال الشيخ الأصفهاني في حاشيته على المكاسب: (وفيها قوله عليه السلام: "مجاري الأمور والأحكام بيد العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه".

بتقريب: أن الأمور التي من شأنها الجريان عن نظر الإمام عليه السلام فهي مفوضة إلى العلماء، فيعم جميع الأمور المهمة المتعلقة بنظم البلاد وحفظ العباد، ورعاية شؤون القاصرين في أنفسهم وأموالهم.

وأورد عليه: بأن الرواية منقولة في تحف العقول، وسياقها يدل على أنها في خصوص الأئمة عليهم السلام والظاهر أنه كذلك، فإنه المذكور فيها هم العلماء بالله لا العلماء بأحكام الله، ولعل المراد أنهم عليهم السلام بسبب وساطتهم للفيوضات التكوينية والتشريعية تكون مجاري الأمور كلها حقيقة بيدهم عليهم السلام لا جعلاً، فهي دليل الولاية الباطنية لهم كولايته تعالى، لا الولاية الظاهرية التي هي من المناصب المجعولة) (٣).

وعلق السيد محسن الحكيم على هذه الرواية قائلاً: (... لا تخلو من إجمال مع أن العلماء بالله غير السيد محسن الحكيم بالأحكام الذين هم موضوع البحث ...) (٤).

١- بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٧٩ - ٨١.

٢- حاشية المكاسب: ص ٩٤.

٣- حاشية المكاسب: ج ٢ ص ٣٨٨.

٤- نهج الفقاهة - للسيد محسن الحكيم: ص ٢٩٩.

وقال الشيخ جعفر السبحاني في تقرير بحث السيد الخميني (رحمه الله): (ثم أنه ربما يستدل ببعض الروايات القاصرة سنداً أو دلالة لا بأس بالإشارة إلى بعضها:

منها: التوقيع الرفيع، وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله، وفيه: أنه قاصر السند.

ومنها: رواية تحف العقول، مجاري الأمور على يد العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه، وفيه: أن التدبر في الرواية صدرها وذيلها يقضي بورودها في حق الأئمة مضافاً إلى ضعف السند. ومنها: ما رواه في الفقه الرضوي من تنزيل الفقهاء منزلة أنبياء بني إسرائيل، وفيه: أنه ضعيف السند^(١).

وقال السيد محمد صادق الروحاني في فقه الصادق عليه السلام ج ٥ ص ١٧١: (... وأما عن تحف العقول عن علي بن الحسين: مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه. فيرد على الاستدلال به:

أولاً: إن الظاهر أن العلماء الأئمة عليهم السلام، فأهم العلماء بالله، وأما الفقهاء فهم العلماء بالأحكام الشرعية...).

٣- ثم إن المتدبر في أجزاء الرواية يظهر له عدة أمور:

منها: قوله عليه السلام: (... وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء...).

فالكلام والتوبيخ موجه إلى العلماء الغير عاملين في زمن الإمام علي عليه السلام أو الإمام الحسين عليه السلام، واعتبرهم الإمام عليه السلام أعظم الناس مصيبة بسبب (لما غلبتم عليه من منازل العلماء) ومنازل العلماء هي للأئمة عليهم السلام خاصة، لقول المعصوم عليه السلام: (نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غشاء)، وهؤلاء علماء السوء غلبوا عليها خاصة، أي تقمصوها كما تقمصها أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم. فالظاهر من (لما غلبتم عليه) أي ما أخذتموه بالغلبة دون رضا صاحبه، فيتبين أن هؤلاء العلماء الذين هم أعظم الناس مصيبة، غاصبون لمنزلة الأئمة عليهم السلام وهي الإمامة والولاية والتي يمتاز صاحبها بأنه أعلم الناس.

ومنها: قوله عليه السلام: (ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأئمة على حلاله وحرامه ...).

والمقصود بذلك هم الأئمة عليهم السلام؛ لأن الإمام عليه السلام في مقام إثبات حقه في ولاية أمور الناس وإجراء أحكام الله تعالى؛ لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله المنصوص عليه بالقرآن والسنة المطهرة، وقد سلب هذا الحق من عنده بغيّاً وعدواناً، وذلك بسبب تقاعس العلماء والصحابة عن نصرته ومداهنتهم لأئمة الضلالة الذين خانوا الرسول صلى الله عليه وآله وخالفوا وصيته في تنصيب الإمام علي عليه السلام خليفة له، واتبعوا أهواءهم وشهواتهم.

فكيف يعقل أن الإمام علياً عليه السلام مع وجوده وهو الحجة على الخلق يشير إلى أن مجاري الأمور والأحكام بيد عامة العلماء وينفيها عن نفسه، وكيف يمكن لشخص أن يتصور صدور هذا المعنى من الإمام علي عليه السلام وهو المطالب بحقه في عشرات المواطن.

نعم، يمكن أن نتصور هذا المعنى: (أن مجاري الأمور والأحكام بيد العلماء) على نحو النيابة عن الإمام المعصوم بمباشرة أمر معين، كولاية مالك الأشتر عليه السلام على أهل اليمن نيابة عن الإمام علي عليه السلام، وغيره من الصحابة الذين استخدمهم الإمام علي عليه السلام كولاة على البلدان البعيدة عن مركز الخلافة. وهؤلاء الولاة تكون ولايتهم طويلة؛ أي مستمدة من ولاية المعصوم، وليس عرضية؛ أي مستقلة عن ولاية المعصوم. فمجاري الأمور والأحكام بيد الأئمة عليهم السلام وتكون على أيدي العلماء من أصحابهم بنحو النيابة الخاصة كما قدمت، كنيابة أصحاب الإمام علي عليه السلام عنه في إدارة شؤون البلدان والأمصار البعيدة، وكذلك كمسلم بن عقيل عليه السلام في نيابته عن الإمام الحسين عليه السلام في قيادة أهل الكوفة لتمهيد النصر للإمام الحسين عليه السلام، وكأذن الإمام الصادق عليه السلام والباقر وغيرهم من الأئمة لبعض أصحابهم المخلصين في ممارسة الإفتاء للناس بما عرفوه من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ونيابة السفراء الأربعة عن الإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة الصغرى. وهذه الصلاحية لا يمكن أن تتوفر لعلماء الغيبة الكبرى؛ لافتقارهم إلى النص والإذن المباشر من المعصوم للنيابة عنه في ممارسة إدارة شؤون الأمة، وكيف يمكن لشخص أن ينوب عن الإمام المعصوم بدون إذنه ورضاه !!!

وأما ما ادّعي من النيابة العامة في الغيبة الكبرى فأدلتته غير تامة سنداً أو دلالة. نعم، قد تصح مطلق النيابة لا النيابة المطلقة، كنيابة عدول المؤمنين في تدبير أمور من لا ولي له، كالمحافظة

على أموال اليتامى، وك ممارسة القضاء بين المؤمنين، وغيرها من الأمور التي يضطر لها الناس. وهي لا تستلزم القول بوجوب طاعة العلماء في عصر الغيبة الكبرى، وإنما العامل يعمل على وفق القرآن والسنة ولا يتعداهما إلى النظر والاجتهاد العقلي الناقص. وهذا هو ما عمل به علماءنا المتقدمون بعد انتهاء عصر الغيبة الصغرى.

ومنها: قوله بعد ذلك: **(فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ...)**.

فقوله **العلية**: **(فأنتم المسلوبون تلك المنزلة ...)** ليس المقصود من المنزلة منزلة العلماء كما توهمه البعض، وإنما المقصود أنهم سلبوا منزلة أن تكون مجاري الأمور على أيديهم نيابة عن علماء آل محمد **عليه السلام**، والدليل على ذلك قوله **العلية**: **(وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ...)**، أي إنكم سلبتم ذلك بتفرقكم عن الإمام الحق الذي بيده مجاري الأمور، فخذلتموه فأصبحت مجاري الأمور بيد الظالمين فمكّنوا السفهاء من ولاية أمور الناس وتديرها، فظهر الفساد في البر والبحر.

فلو أنهم اجتمعوا على الحق وأخذوا بوصية الرسول **عليه السلام** في تنصيبه لآل بيته خلفاء على الأمة لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم، ولكانت ولاية أمور الناس بيد الصحابة المؤمنين المخلصين لآل محمد، مثل أبي ذر وسلمان المحمدي والمقداد ومالك وغيرهم رضوان الله عليهم. وأيضاً يدل على هذا المعنى قوله **العلية**: **(فاستخففتكم بحق الأئمة ..)**، وقوله: **(وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفرعون [تغضبون]، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفرعون [تغضبون] وذمة رسول الله محقورة ..)**، أي إنكم استخففتكم بحق الأئمة عندما لم تطيعوهم ولم تنصروهم على من غصبهم حق خلافة الرسول **عليه السلام**.

وبالنتيجة حتى لو تنزلنا جدلاً عمّا سبق فإن غاية ما يدل عليه قوله **العلية**: **(مجري الأمور والأحكام على أيدي العلماء)** إذا حملناه على مطلق العالم فذلك بشرط كونهم منطوين تحت ولاية المعصوم، ومأذونين بالمباشرة منه **عليه السلام**، فإن لم يتحقق الشرط - إذن الإمام **عليه السلام** - فالمشروط لا يتحقق وهو جواز جريان الأمور والأحكام على أيدي العلماء.

وبعد هذا كله فلا يمكن للشيخ يعقوبي الاستدلال بهذه الرواية لإثبات مطلبه، بل دونه حرط القتاد.

وأما قول الشيخ يعقوبي: وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه) (...).

فقد تقدم الرد عليه ومناقشته في الثمرة الرابعة من هذا البحث، فراجع.

وقد كان من نيتي أن أناقش الكثير من آراء الشيخ يعقوبي ولكن بسبب حصولي على عدد قليل من بيانات (خطاب المرحلة) وبسبب ضيق الوقت، ولأن فيما كتبتة كفاية في إثبات مخالفة الشيخ يعقوبي للقرآن والسنة المطهرة، واضطراب وتناقض أفكاره العقائدية، اكتفيت بهذا القدر.

إلى هنا تم الفراغ من تحرير الغصن الثاني من (سلسلة الحجّة الظاهرة في الدفاع عن العترة الطاهرة) والذي هو بعنوان: (من هم ورثة الأنبياء الأوصياء أم العلماء؟)، وسيليه إن شاء الله تعالى الغصن الثالث.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين.

الشيخ ناظم العقيلي

الموافق ١٥ / ٥ / ٢٠٠٦ م

الفهرس

الإهداء	٥
المقدمة	٧
الغصن الثاني: من هم ورثة الأنبياء	١١
الجهة الأولى: صفات الوارث	١٢
الوارث مصطفى من الله تعالى	١٢
الوارث معصوم	١٤
الوارث صاحب الوصية	١٧
الوارث عالم لا يجهل	٢٢
الوارث واجب الطاعة	٢٥
الجهة الثانية: موارث الأنبياء	٣٠
الثمرات:	٣٦
الثمرة الأولى: العلماء ورثة الأنبياء	٣٦
الثمرة الثانية: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل	٤١
الثمرة الثالثة: رواة حديثنا	٤٢
الثمرة الرابعة: فللعوام أن يقلدوه	٤٥
الثمرة الخامسة: أمناء الرسل	٤٨
الثمرة السادسة: المجتهد إذا أخطأ	٥٣
الثمرة السابعة: ينفون عنه التحريف	٥٦
الثمرة الثامنة: الرد على اليعقوبي	٥٩
الفهرس	٧١

والحمد لله رب العالمين